مسألة
في تحديث العوام بآيات وأحاديث الأسماء والصفات

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ الموافق٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء ( ) ٢٠١٠م

مكتبة دار الحديث السلفية بدماج

مسألة في تحديث العوام
بآيات وأحاديث الأسماء والصفات

كتبه
أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري_حفظه الله_

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه الكريم : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ تركنا على مثل البيضاء في كل صغير من أمورنا وكبير .

أما بعد:

فقد تصفحت هذا المبحث المختصر في رسالة تحديث العوام بآيات وأحاديث الصفات لأخينا الشيخ عبد الحميد الحجوري حفظه الله فرأيته جمع فيها من الأدلة والأقوال جمعاً طيباً وقد وفق في ذلك لأن عوام الناس ممن يشملهم قول الله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥] ومن أجل ما يجب على المسلم تعلمه توحيد الله عز وجل الشامل لأسمائه وصفاته ومن هذين الدليلين يعلم أنه ما من عبد تعلم إلا وكان قبل ذلك لا يعلم ذلك العلم فعدم ذكر أدلة الصفات لعوام الناس يجعلهم لا يفهمون العقيدة الصحيحة بأدلتها

وينقبضون من سماعها وهذا دفع بهم إلى التشبه بضُلال المعطلة وكتمان علم يجب بيانه وقد لعن الله عز وجل كاتم العلم بعد ما بينه في كتابه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] الآية وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧] فذمهم الله على عدم بيان الكتاب للناس والكتاب المذكور وسائر كتب الله المنزلة هي كلام الله عز وجل من صفاته العظيمة. وأمرنا بتدبر القرآن فقال: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد:٢٤]وهذا شامل لكل من سمعه ممن مده الله سمع وبصر وفؤاد فيستفيد منها في فهم دين الله قال تعالى عن المشركين: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦]الآية. ومن الأدلة ما يصعب حصره في جواز تحديث سائر المسلمين بأدلة الأسماء والصفات وبيانها لهم بيانا صحيحاً على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم أما الإشارة حال التحديث بصفات الله إلى بعض ما مسماه أبعاض لنا فقد صح عند أبي داود وعند ابن خزيمة في التوحيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه: "قرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]ووضع أبهامة على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه وقال هكذا رأيت رسول اللهﷺ يقرؤها ويضع أصبعه قال أبو داود وهذا رد على الجهمية وفي هذه الرسالة فصل في الإشارة وذكر حديث أنس الصحيح" ذكر أشارة ثابت البناني فقال له حميد:ما تريد من هذا يا أبا محمد قال

فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد ؟وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس عن النبيﷺ ثم تقول أنت ماذا تريد إليه!". وفي الباب غير ذلك من الأدلة و الآثار القاضية بجواز ذلك عند من يعَلمْ أو يُعلم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

تنبيه

أطلت في المقدمة لهذه الرسالة المختصرة حسب طلب أخينا الشيخ عبد الحميد الحجوري أثابه الله لمقدمة تتضمن فتوى بما نراه في المسالة وبالله الموفق.

كتبه/

يحيى بن علي الحجوري

حرر في ٢٤/ جماد الأول -١٤٣١هـ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، من يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد:

فإن الله عز وجل خلقنا لطاعته وعبادته حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

ولما حصل من الناس المخالفة لهذا الأصل العظيم أرسل الرسل، وأنزل الكتب لدعوة الناس للعودة إلى هذا الطريق العظيم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقال: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النحل:١٥٦]. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥]، إلى غير ذلك من الأدلة القويمة الواضحة البينة، فدعوة الرسل صلوات الله عز وجل عليهم أجمعين دعوة إلى العلم والعمل، دعوة إلى البر والتقوى، دعوة إلى التوحيد والسنة، دعوة إلى الانقياد والطاعة دعوة إلى كل بر وفضيلة وتحذير من كل شرٍ ورذيلة.

وأخذ الله عز وجل عليهم الميثاق في البلاغ، وإن أدركوا محمداً ﷺ في الاتباع.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة:٦٧].

وقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[آل عمران:٨١].

فمن أخذ سبيلهم واقتفى أثرهم وسلك جادتهم، واعتقد عقيدتهم، وجعل من منهجهم نبراساً ودليلاً وصل إلى المطلوب من مرضاة الله عز وجل، وجنات الخلود ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾[البقرة:١٣٧]، ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[يوسف:١١١]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام:٩٠].

وهم في التوحيد والعقائد متفقون، وإن اختفت شرائعهم صلوات ربي عليهم، فكلهم يدعون إلى الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩]، وكلهم يدعون إلى الإيمان، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[المائدة:٤٨].

فكان لا سبيل -لا أي أمة- إلى معرفة الله عز وجل ومعرفة الدين إلا بالأخذ لطريقهم وتلقي علومهم.

وكان من نعمة الله البالغة وحجته الدامغة أن ختمهم بسيد الأنبياء، وإمام الأتقياء، وأعلم الناس بربه محمد ﷺ، فبلغ البلاغ المبين، وبين ووضح الصراط المستقيم، وما قبضه الله عز وجل حتى أتم به الدين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فما من خيرٍ إلا ودلنا عليه، ففي حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: «ما بعث الله من نبي في أملة قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم».

فعلينا إن أردنا السلامة في الدين، ومرضاة رب العالمين أن نكون على طريقه سائرين ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور:٥٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١]. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١].

وعن العرباض بن سارية: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور» أخرجه الترمذي

وغيره.

ومع ذلك فإننا نلاحظ أن كثيراً من أهل الملة قد تنكبوا عن طريقته والأخذ بسنته إلى طرق مبتدعة، ومهاوي ضلالة فاستحقوا العذاب الأليم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى؟ قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» أخرجه البخاري عن أبي هريرة . وقال: «فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، فمن أراد مرضاة الله عز وجل وقبول عمله فليلزم الإخلاص لله عز وجل في الأقوال والأعمال والمعتقدات، فإن الله أمر بذلك فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة:٥]، وليلزم هدى رسول الله قال الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[النساء:٦٥].

مع الأخذ بطريقة السلف رضوان الله عليهم في العلم والفهم والعمل قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وعلى كل حال، اللهم اغفر لي ولوالديَّ ولمشايخي وللمسلمين.

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد
الحجوري الزعكري
الأحد ٢/ ربيع أول/ ١٤٣١هـ

وكانت المراجعة الأخيرة
٢٤/ ٥/ ١٤٣١هـ
بعد عصر يوم السبت مسجد دار الحديث
بدماج اليمن صعدة

الفصل الأول

أهمية العلم النافع

قال الله عز وجل: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[الزمر:٩].

وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ، وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ، وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾[فاطر:١٩-٢١].

فالعالم مبصر والعلم نور، والعلم ظل ونعيم، والجهل عمى وظلمات وحر، نسأل الله العلم النافع والعمل الصالح، وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[طه:١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

فالعلم النافع أهميته للمسلم أعظم من أهمية الزاد والشراب واللباس والسكن؛ لأن العلم النافع حياة القلوب، وصلاح الدنيا والدين، ورحم الله الزهري إذ يقول: "أدركت كثيراً من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة

والعلم يقبض قبضاً سريعاً وبانتعاش العلم انتعاش الدنيا والدين" أخرجه الدارمي في مقدمة سننه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

إن السعادات التي تؤثرها النفوس ثلاث سعادات:

الأولى: سعادة خارجية عن ذات الإنسان، بل هي مستعارة له من غيره، تزول باسترداد العارية، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها، فبينا المرءُ بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتدٍ بقاع يشج رأسه بالفهرواجي فالسعادة بهذا كفرح الأقرع بجمة ابن عمه.

السعادة الثانية: سعادة في جسمه وبدنه كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه وحسن تركيبه وصفاء لونه وقوة أعضائه، فهذه ألصق به من الأولى، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته، وحقيقته فإن الإنسان إنسانٌ بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه.

السعادة الثالثة: هي السعادة ا لحقيقية وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره ودوره الثلاثة –أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار– وبها يرتقي في معارج الفضل ودرجات الكمال اهـ.

واعلم أن أهمية العلم عظيمة، فلا يمكن للمكلف أن يكون على مراد الله عز وجل الشرعي إلا بالعلم والعمل، ودين الله الذي بعث به محمداً هو

العلم النافع علم الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣].

فالله عز وجل بعث محمداً بالعلم الذي هو الهدي والدعوة إلى العمل الصالح والعمل به.

فهذان الأصلان العظيمان إن وجدت في دعوة حصل لها الظهور والنصر المبين.

ولهذا إذا ارتفع العلم ارتفع الدين وقامت الساعة، وفي حديث ابن عمرو: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» أخرجاه في الصحيحين.

قال ابن القيم رحمه الله كما في «فضل العلم والعلماء» (ص٣٦): إن حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء؛ لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس؛ لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحباً لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة في نفس من أنفاسه فقد عطب وقرب هلاكه، وليس إلى ذلك سبيل إلا بالعلم، فالحاجة إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب اهـ.

أهم العلوم الشرعية

أهم العلوم الشرعية هو علم التوحيد، فإن شرف العلـم بـشرف المعلـوم، وعلم العباد بربهم هو الغاية.

قال شيخ في الأصفهانية(١٠٨):

وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فانه العلم بالله الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه والعلم به أعلى العلوم من كل وجه والعلم به أصـل لكل علم وهم يسلمون أن العلم به إذا حصل على الوجه التـام يـستلزم العلـم بكل موجود .اهـ

قال ابن القيم رحمه الله كـما في «فـضل العلـم والعلـماء» (ص٣٤): "أخـبر سبحانه أنه خلق الخلق ووضع بيته الحـرام والـشهر الحـرام والهـدي والقلائـد ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فقال تعـالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[الطلاق:١٢]، فـدلَّ عـلى أن عِلمَ العباد بربهم وصفاته وعبادته هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر" اهـ.

وقال رحمه الله (ص٣٨): ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصـفاته وأفعالـه أجـل العلـوم وأفـضلها، ونـسبته إلى سـائر العلـوم كنـسبة معلومـة إلى سـائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلِّها...

فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فهـو في ذاتـه

ربُّ كل شيءٍ ومليكه، والعلم به أصل كلِّ علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهم لما سواه أجهل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾[الحشر:١٩] اهـ.

ولذلك عرف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله العلم في الأصول الثلاثة بأنه معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

التحذير من كتم العلم

كتم العلم صفة يهودية ونصرانية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران:١٨٧].

وفي الحديث: «من سُئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه أبو داود (٣٦٥٨) وغيره من حديث أبي هريرة .

وقد حث رسول الله ورغب على بث العلم فقال كما في حديث ابن مسعود : «نضر الله امرئ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فربَّ مبلغ أوعى من سامع» أخرجه الترمذي (٢٦٥٩).

فلا يجوز كتم العلم إذا سئلت عنه سواءً في باب الصفات أو غيره من الأبواب.

ولا يجوز كذلك تأخير البيان عن وقت الحاجة، فإذا رأيت أناساً يجهلون ربهم عز وجل أو يأولون صفاته أو غير ذلك من الأبواب فتعليمهم متعين وواجب ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر:٩٤].

وفي السنن عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ قَالَ أَصَابَتْنِى سَنَةٌ فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَفَرَكْتُ سُنْبُلاً فَأَكَلْتُ وَحَمَلْتُ فِى ثَوْبِى فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِى وَأَخَذَ ثَوْبِى فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ لَهُ « مَا عَلَّمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلاً وَلاَ أَطْعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا ». أَوْ قَالَ « سَاغِبًا ». وَأَمَرَهُ فَرَدَّ عَلَىَّ

ثَوْبِى وَأَعْطَانِى وَسْقًا أَوْ نِصْفَ وَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ.

كيفية معرفة الله عز وجل

يُعرف الله عز وجل بالنظر في آياته الكونية وآياته الشرعية.

قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «شرح الأصول الثلاثة» (ص١٩): "ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلكم المخلوقات ازداد علماً بخالقه ومعبوده، قال الله عز وجل: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ، وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[الذاريات:٢٠، ٢١]".

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان أن يعرفها؟ فقل: معرفة العبد ربه" اهـ.

فيجب على جميع المكلفين أن يعرفوا ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى حتى يلتزموا شرعه ويعبدوه ولا يكفروه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في طريق الهجرتين(٣٠٦):

وهذا القرآن المجيد عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعه والتقدم إلى عباده بأمره ونهيه على ألسنة رسله وتصديقه يفهم بما أقامه من الشواهد والدلالات على صدقهم وبراهين ذلك ودلائله وتبيين مراده من ذلك كله وكان من تمام ذلك الإخبار عن الكافرين والمكذبين وذكر ما أجابوا به رسلهم وقابلوا به رسالات ربهم ووصف كفرهم وعنادهم وكيف

كذبوا على الله وكذبوا رسله وردوا أمره ومصالحه فكان في اجتلاب ذلك من العلوم والمعارف والبيان وضوح شواهد الحق وقيام أدلته وتنوعها وكان موقع هذا من خلقه موقع تسبيحه تعالى وتنزيهه من الثناء عليه وأن أسماءه الحسنى وصفاته العليا هي موضع الحمد ومن تمام حمده تسبيحه وتنزيهه عما وصفه به أعداؤه والجاهلون به مما لا يليق به وكان في تنوع تنزيهه عن ذلك من العلوم والمعارف وتقرير صفات الكمال وتكميل أنواع الحمد ما في بيان محاسن الشيء وكماله عند معرفة ما يضاده ويخالفه ولهذا كان تسبيحه تعالى من تمام حمده وحمده من تمام تسبيحه ولهذا كان التسبيح والتحميد قربتين وكان ما نسبه إليه أعداؤه والمعطلون لصفات كماله من علوه على خلقه وإنزاله كلامه الذي تكلم به على رسله وغير ذلك مما نزه عنه نفسه وسبح به نفسه وكان في ذلك ظهور حمده بخلقه بل وتنوع أسبابه وكثرة شواهده وسعة طرق الثناء عليه به وتقرير عظمته ومعرفته في قلوب عباده فلولا معرفة الأسباب التي يسبح وينزه ويتعالى عنها وخلق من يضيفها إليه ويصفه بها لما قامت حقيقة التسبيح ولا ظهر لقلوب أهل الإيمان عن أي شيء يسبحونه وعن ماذا ينزهونه فلما رأوا في خلقه من قد نسبه إليه أعداؤه والمعطلون لصفاته ونظير هذا اشتمال كلمة الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله على النفي والإثبات فكان في الإتيان بالنفي في صدر هذه الكلمة من تقرير الإثبات وتحقيق معنى الإلهية وتجريد التوحيد الذي

يقصد بنفي الإلهية عن كل ما ادعيت فيه سوى الإله الحق تبارك وتعالى فتجريد هذا التوحيد من العقد واللسان بتصور إثبات الإلهية لغير الله كما قاله أعداؤه المشركون ونفيه وإبطاله من القلب واللسان من تمام التوحيد وكماله وتقريره وظهور أعلامه ووضوح شواهده وصدق براهينه ونظير ذلك أيضا أن تكذيب أعداء الرسل وردهم ما جاؤوهم به كان من الأسباب الموجبة ظهور براهين صدق الرسل ودفع ما احتج به أعداؤهم عليهم من الشبه الداحضة ودحض حججهم الباطلة وتقرير طرق الرسالة وإيضاح أدلتها فإن الباطل كلما ظهر فساده وبطلانه أسفر وجه الحق واستنارت معالمه ووضحت سبله وتقرت براهينه فكسر الباطل ودحض حججه وإقامة الدليل على بطلانه من أدلة الحق وبراهينه فتأمل كيف اقتضى الحق وجود الباطل وكيف تم ظهور الحق بوجود الباطل وكيف كان كفر أعداء الرسل بهم وتكذيبهم لهم ودفعهم ما جاؤوا به وهو من تمام صدق الرسل وثبوت رسالات الله وقيام حججه على العباد ولنضرب مثالا يتبين به وهو ملك له عبد قد توحد في العالم بالشجاعة والبسالة والناس بين مصدق ومكذب فمن قائل هو كذلك ومن قائل هو بخلاف ما يظن به فإنه لم يقابل الشجعان ولا واجه الأقران ولو بارز الأقران وقابل الشجعان لظهر أمره وانكشف حاله فسمع به شجعان العالم وأبطالهم فقصدوه من كل صوب وأتوه من كل قطر فأراد الملك أن يظهر لرعيته ما هو عليه من

الشجاعة فمكن أولئك الشجعان من منازلته ومقاومته وقال دونكم وإياه وشأنكم به فهل تسليط الملك لأولئك على عبده ومملوكه إلا لإعلاء شأنه وإظهار شجاعته في العالم وتخويف أعدائه به وقضاء الملك أوطاره به كما يترتب على هذا إظهار شجاعة عبده وقوته وحصول مقصوده بذلك فكذلك يترتب عليه ظهور كذب من ادعى مقاومته وظهور عجزهم وفضيحتهم وخزيهم وأنهم ليسوا ممن يصلح لمهمات الملك وحوائجه فإذا عدل بهم عن مهماته وولايته وعدل بها عنهم كان ذلك مقتضى حكمة الملك وحسن تصرفه في ملكه وأنه لو استعملهم في تلك المهمات لتشوش أمر المملكة وحصل الخلل والفساد والله أعلم بالشاكرين والمقصود أن خلق الأسباب المضادة للحق وإظهارها في مقابلة الحق من أبين دلالاته وشواهده فكان في خلقها من الحكمة ما لو فاتت لفاتت تلك الحكمة وهي أحب إلى الله من تفويتها بتقدير تفويت هذه الأسباب والله أعلم.انتهى

أهمية الفقه بباب الأسماء والصفات

قال ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن - (١ / ١٤٤)

وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد - أعظم انتفاع وأتمه وقد بينا في كتابنا المعالم بطلان التحيل وغيره من الحيل الربوبية من أسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم أن يحرم الشيء ويتوعد على فعله بأعظم أنواع العقوبات ثم يبيح التوصل إليه بنفسه بأنواع التحيلات فأين ذلك الوعد الشديد وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد إذ ليست حكمة الرب تعالى وكمال علمه وأسمائه وصفاته تنتقض بإحالة ذلك وامتناعه عليه فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الأسماء والصفات على الفقه العملي في باب الأمر والنهي وهذا باب حرام على الجهمي المعطل أن يلجه إلى الجنة حرام عليه ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين ألف سنة والله العزيز الوهاب لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وبه التوفيق وحياة العالم ومدار السعادة وقائد الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه ولم ينزل للمداهنة ؟ وإنما أنزل بالحق وللحق والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يدهن به ؟

ثم قال سبحانه { وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون } لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب إنما هو بالرزق فرزق البدن الطعام والشراب ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وفاطره ومحبته والشوق إليه والأنس بقربه والابتهاج بذكره وكان لا حياة له إلا بذلك كما أن البدن لا حياة له إلا بالطعام والشراب - أنعم سبحانه على عبادة بهذين النوعين من الرزق وجعل قيام أبدانهم وقلوبهم بهما ثم فآوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته : فمنعم من وفر حظه من الرزقين ووسع عليه فيهما ومنهم من قتر عليه في الرزقين ومنهم من وسع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب وبالعكس وهذا الرزق إنما يتم ويكمل بالشكر والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فإن الله تعالى تأذن أنه لابد أن يزيد الشكور من نعمه ولابد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع الشكر والإيمان جعلوا رزقهم نفسه تكذيبا فإن التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة فهؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب وهذا المعنى هو الذي حام حوله من قال : التقدير وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون وقال آخرون : التقدير وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون فحذف مضافين معا وهؤلاء أطالوا اللفظ وقصروا بالمعنى ومن بعض معنى الآية قوله

: مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا لا يصح أن تدل عليه الآية ويراد بها وإلا فمعناها

أوسع منه وأعم وأعلى والله أعلم.انتهى

محبة الله تعالى للمدح

قال ابن القيم في مدارج السالكين - (١ / ٤١٧)

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع

والمطلع على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا وأمرا بالأسماء الحسنى والصفات العلى وارتباطه بها وإن كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها

وهذا من أجل المعارف وأشرفها وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال وكل صفة لها مقتض وفعل إما لازم وإما متعد ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال وتعطيل الأفعال عن المفعولات كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وأفعاله عن صفاته وصفاته عن أسمائه وتعيطل أسمائه وأوصافه عن ذاته

وإذا كانت أوصافه صفات كمال وأفعاله حكما ومصالح وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه ولها ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه وأنه بذلك نسبه إلى ما لا يليق به وإلى ما يتنزه عنه

وأن ذلك حكم سيء ممن حكم به عليه وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه كما قال تعالى في حق منكري النبوة وإرسال الرسل وإنزال الكتب وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المختلفين كالأبرار والفجار والمؤمنين والكفار أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فأخبر أن هذا حكم سيء لا يليق به تأباه أسماؤه وصفته وقال سبحانه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم عن هذا الظن والحسبان الذين تأباه أسماؤه وصفاته

ونظائر هذا في القرآن كثيرة ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته إذ ذلك مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها

فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الإنسان سدى مهملا معطلا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب وكذلك اسمه الحكيم يأبى ذلك وكذلك اسمه الملك واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل فكل حي فعال وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها واسمه

السميع البصير يوجب مسموعا ومرئيا واسمه الخالق يقتضي مخلوقا وكذلك الرزاق واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفا وتدبيرا وإعطاء ومنعا وإحسانا وعدلا وثوابا وعقابا واسم البر المحسن المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها.انتهى

قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين(١/ ٢٧٤):

ويحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها كما في الصحيح عن النبي لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أثنى على نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وفي حديث آخر صحيح لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها فأمرهم بالعدل والإحسان والبر والعفو الجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن

اتصافه بها ظلم إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لمنافاتها لصفات العبد وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته وتعديه طوره وحده وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة الإحسان والصبر والشكر فإنها لا تنافي العبودية بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية والمقصود أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال منزه عن كل نقص له كل ثناء حسن ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء ولا يثنى عليه إلا بأكمل الثناء وهو المحمود المحبوب المعظم ذو الجلال والإكرام على كل ما قدره وخلقه وعلى ما أمر به وشرعه

ومن كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقراء آثارها في الخلق والأمر رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل انتظام ورأى سريان آثارها فيهما وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله وما لا يليق فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به فيعلم أنه لا يأمر بخلاف موجب حمده وحكمته فإذا رأى في بعض الأحكام جورا وظلما أو سفها وعبثا ومفسدة أو ما لا يوجب حمدا وثناء فليعلم أنه ليس من أحكامه ولا دينه وأنه بريء منه ورسوله فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم وبالمصلحة لا بالمفسدة وبالحكمة لا

بالعبث والسفه وإنما بعث رسوله بالحنيفية السمحة لا بالغلظة والشدة وبعثه بالرحمة لا بالقسوة فإنه أرحم الراحمين ورسوله رحمة مهداة إلى العالمين ودينه كله رحمة وهو نبي الرحمة وأمته الأمة المرحومة وذلك كله موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة فلا يخبر عنه إلا بحمده ولا يثنى عليه إلا بأحسن الثناء كما لا يسمى إلا بأحسن الأسماء .انتهى

معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (١٧/ ١٠٥):

قول القائل معرفة ذاته و معرفة أسمائه و صفاته و معرفة أفعاله إن أراد بذلك أن ذاته تعرف بدون معرفة شيء من أسمائه و صفاته الثبوتية و السلبية فهذا ممتنع و لو قدر إمكان ذلك أو فرض العبد في نفسه ذاتا مجردة عن جميع القيود السلبية و الثبوتية فليس ذاك معرفته بالله ألبتة و لا هو رب العالمين.اهـ

قال الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد لشرح كتاب التوحيد –(٤٣٤-٤٣٧)

كذلك توحيد الأسماء والصفات برهان على توحيد الإلهية ، ومن حصل عنده ضلال في توحيد الأسماء والصفات فإن ذلك سيتبعه ضلال في توحيد الإلهية ؛ ؛ ولهذا تجد المبتدعة الذين ألحدوا في أسماء الله وفي صفاته من هذه الأمة : من الجهمية ، والمعتزلة ، والرافضة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، ونحو هؤلاء ، تجد أنهم لما انحرفوا في باب توحيد الأسماء والصفات لم يعلموا حقيقة معنى توحيد الإلهية ففسروا (الإله) بغير معناه وفسروا : (لا إله إلا الله) بغير معناها الذي دلت عليه اللغة ودل عليه الشرع ، وكذلك لم يعلموا متعلقات الأسماء والصفات وآثارها في ملك الله – جل وعلا – وسلطانه ؛ لهذا عقد الشيخ – رحمه الله – هذا الباب لأجل أن يبين أن تعظيم الأسماء والصفات من كمال التوحيد وأن جحد الأسماء والصفات مناف لأصل التوحيد ، فالذي يجحد اسما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم وثبت ذلك عنه وتيقنه فإنه يكون كافرا بالله – جل وعلا – كما قال سبحانه عن المشركين :

{وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} [الرعد : ٣٠] .

والواجب على العباد من أهل هذه الملة ، أن يوحدوا الله - جل وعلا - في أسمائه وصفاته ، ومعنى توحيد الله في أسمائه وصفاته : أن يتيقن ويؤمن بأن الله - جل وعلا - ليس له مثيل في أسمائه ولا في صفاته كما قال ـ جل وعلا ـ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى : ١١] فنفى وأثبت ، نفى أن يماثل الله شيء - جل وعلا - وأثبت له صفتي السمع والبصر .

قال العلماء : قدم النفي قبل الإثبات على القاعدة العربية المعروفة أن التخلية تسبق التحلية ، فيجب أن يخلو القلب من كل براثن التمثيل ومن كل ما كان يعتقده المشركون الجاهلون من تشبيه الله بخلقه ، أو تشبيه خلق الله به ، فإذا خلا القلب من كل ذلك ، وبرئ من التشبيه والتمثيل ، أثبت ما يستحقه الله - جلا وعلا - من الصفات ، فأثبت هنا صفتين وهما السمع والبصر . وسبب ذكر السمع والبصر هنا في مقام الإثبات دون غيرهما من الصفات ، أو دون ذكر غير اسم السميع والبصير من الأسماء ؛ لأن صفتي السمع والبصر مشتركة بين أكثر المخلوقات الحية ، فجل المخلوقات الحية التي حياتها بالروح والنفس لا بالنماء فإن السمع والبصر موجود فيها جميعا ، فالإنسان له سمع وبصر وسائر أصناف الحيوانات لها سمع وبصر ، فالذباب له سمع وبصر يناسبه ، والبعير له سمع وبصر يناسبه ، وكذلك الطيور ، والأسماك ، والدواب الصغيرة ، والحشرات كل له سمع وبصر يناسبه . ومن المتقرر عند كل عاقل أن سمع هذه الحيوانات ليس متماثلا ، وأن بصرها ليس متماثلا وأن سمع الحيوان

ليس مماثلا لسمع الإنسان ، فسمع الإنسان ربما كان أبلغ وأعظم من سمع كثير من الحيوانات وكذلك البصر ، فإذا كان كذلك كان اشتراك المخلوقات التي لها سمع وبصر في السمع والبصر اشتراكا في أصل المعنى ، ولكل سمع وبصر بما قدر له وما يناسب ذاته ، فإذا كان كذلك ولم يكن وجود السمع والبصر في الحيوان وفي الإنسان مقتضيا لتشبيه الحيوان بالإنسان ، فكذلك إثبات السمع والبصر للملك الحي القيوم ليس على وجه المماثلة للسمع والبصر في الإنسان أو في المخلوقات ، فلله – جل وعلا – سمع وبصر يليق به ، كما أن للمخلوق سمعا وبصرا يليق بذاته الحقيرة الوضيعة ، فسمع الله كامل مطلق من جميع الوجوه لا يعتريه نقص وبصره كذلك . واسم الله (السميع) هو الذي استغرق كل الكمال في صفة السمع ، وكذلك اسم الله (البصير) هو الذي استغرق كل الكمال في صفة البصر ، فدل ذلك على أن النفي مقدم على الإثبات ، وأن النفي يكون مجملا والإثبات يكون مفصلا ، فالواجب على العباد أن يعلموا أن الله – جل جلاله – متصف بالأسماء الحسنى وبالصفات العلى وأن لا يجحدوا شيئا من أسمائه وصفاته ، فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته فهو كافر ؛ لأن ذلك صنيع الكفار والمشركين .

والإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله ، وهو سبب لمعرفة الله ، والعلم به ، بل إن العلم بالله ومعرفة الله – جل وعلا – تكون بمعرفة أسمائه وصفاته ، وبمعرفة آثار الأسماء والصفات في ملكوت الله – جل وعلا – .

وقال صالح آل الشيخ في التمهيد (٤٣٩)

وجميع الصفات التي تتضمنها الأسماء كلها دالة على كمال الله - جل وعلا - وعلى عظمته ، فالعبد المؤمن إذا أراد أن يكمل توحيده فليعظم العناية بالأسماء والصفات ؛ لأن معرفة الاسم والصفة يجعل العبد يراقب الله - جل وعلا - وتؤثر هذه الأسماء والصفات في توحيده وقلبه وعلمه بالله ومعرفته .اهـ

معرفة الأسماء والصفات هو داخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله

قال الله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]

فالإيمان بالله يتضمن الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي أنزل على رسوله يتضمن الإيمان بكل ما جاء فيه من الصفات، وكون محمد رسول الله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عز وجل.

الإيمان والإخبار بخبر الله ورسوله ليس فيه محظور

قال شيخ الإسلام في العقيدة الحموية - (٣٣٧)

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك : أن رجلا قال له يا أبا عبد الرحمن إني أكره الصفة - عنى صفة الرب - فقال له عبد الله بن المبارك : وأنا أشد الناس كراهية لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا .

أراد ابن المبارك : أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار .اهـ

باب توجيه أثرعلي رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى(١٢٧): وقال علي: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

حدثنا عبيد الله بن موسى عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن علي بذلك.

قال العلامة العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد - (٢ / ١٣٣)

قوله في أثر على رضي الله عنه : " حدثوا الناس " . أي : كلموهم بالمواعظ وغير المواعظ .

قوله : " بما يعرفون " . أي بما يمكن أن يعرفوه وتبلغه عقولهم حتى لا يفتنوا ، ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : " أنك لن تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " ، ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه ، بل تدعوهم رويداً رويداً حتى تستقر عقولهم ، وليس معنى " بما يعرفون " ، أي : بما يعرفونه من قبل ، لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل .

قوله : " أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ! " الاستفهام للإنكار ، أي : أتريدون إذا حدثتم الناس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله ، لأنك إذا قلت

: قال الله وقال رسوله كذا وكذا ، قالوا هذا كذب إذا كانت عقولهم لا تبلغه ، وهم لا يكذبون الله ورسوله ، ولكن يكذبونك بحديث تنسبه إلى الله ورسوله ، فيكونون مكذبين لله ورسوله ، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل .

فإن قيل : قل ندع الحديث بما لا تبلغه عقول الناس وإن كانوا محتاجين لذلك ؟

أجيب : لا ندعه ، ولكن نحدثهم بطريق تبلغه عقولهم ، وذلك بأن ننقلهم رويداً رويداً حتى يتقبلوا هذا الحديث ويطمئنوا إليه ، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم ونقول : هذا شيء مستنكر لا نتكلم به .

ومثل ذلك العمل بالسنة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها ، فإننا نعمل بها ولكن بعد أن نخبرهم بها ، حتى تقبلها نفوسهم ويطمئنوا إليها .

ويستفاد من هذا الأثر أهمية الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل ، وأنه يجب على الداعية أن ينظر في عقول المدعوين وينزل كل إنسان منزلته .

مناسبة هذا الأثر لباب الصفات :

مناسبته ظاهرة ، لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام العامة فيمكن إذا حدثتهم بها كان لذلك أثر سيئ عليهم ، كحديث النزول إلى السماء الدنيا مع ثبوت العلو، فلو حَدّثت العاميّ بأنه نفسه ينزل إلى السماء الدنيا مع علوه على عرشفه، فقد يفهم أنه إذا أنزل؛ صارت السماوات فوقه وصار العرش خالياً

منه، وحينئذ لا بد في هذا من حديث تبلغه عقولهم فَتُبين لهم أن الله عز وجل ينزل نزولاً لا يماثله نزول المخلوقين مع علوه على عرشه، وأنه لكمال فضله ورحمته يقول: "من يدعوني فأستجيب له.." الحديث. والعامي يكفيه أن يتصور مطلق المعنى ، وأن المراد بذلك بيان فضل الله عز وجل في هذه الساعة من الليل. وَرَوَى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : " أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصفات ، استنكار لذلك ، فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمة ، ويهلكون عند متشابهة ؟ ! " انتهي

قال الشيخ الفوزان في إعانة المستفيد (٥٠-٥١):

الحكمة؛ أن العلم لا يوضع إلاَّ في مواضعه، فإذا خيف من إلقاء المسائل على بعض الناس محذور أكبر، فإنهم تُكتم عنهم بعض المسائل من أجل الشفقة بهم، ورحمتهم من الوقوع في المحذور، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بكتمان هذا النوع من العلم عن عامة الناس، وأخبر به معاذاً، لأن معاذاً من الجهابذة، ومن خواص العلماء، فدلَّ على أنه يجوز كتمان العلم للمصلحة، إذا كان يترتب على إيضاح بعض المسائل للناس محذور: بأن يفهموا خطأً، أو يَتَّكِلوا على ما سمعوا، فإنهم لا يُخبَرون بذلك، وإنما تلقى هذه المسائل على خواص العلماء الذين لا يُخشى منهم الوقوع في المحذور، فأخذ العلماء من هذا الحديث جواز

كتمان العلم للمصلحة، وإنما أخبر معاذ رضي الله عنه بهذا الحديث عند وفاته، خشية أن يموت وعنده شيء من الأحاديث لم يبلِّغه للناس، كما في حديث علي رضي الله عنه: "حدِثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله"، يعني: لا يُلقى على كل الناس بعض المسائل التي فيها أمور يَخفى عليهم معناها، أو تشوِّش عليهم، وإنما يُلقى على الناس ما يفهمونه، ويستفيدون منه، أما نوادر المسائل، وخواص المسائل، فهذه تلقى على طلبة العلم، والمتفقهين المتمكِّنين، وهذا من الحكمة ووضع الشيء في موضعه، لّما تكون أمام عُصاة يشربون الخمور، ويزنون، ويسرقون، وتقول: الله غفور رحيم، الله قريب مجيب، الله سبحانه وتعالى يغفر ويسمح، فيزيدون في الشرور، لكن حين تقول لهم: اتقوا الله، الله سبحانه وتعالى توعّد الزناة بالعذاب وتوعّد على السرقة، وعلى المعاصي بالعذاب الشديد، فتذكر لهم نصوص الوعيد، من أجل التوبة، ولو أتيت عند متمسِّكين وطيبين فذكرت لهم آيات الوعيد، فهذا ربما يزيدهم وسواساً، أو تشدّداً، فأنت تذكر لهم آيات التيسير، وأحاديث التيسير، والتسهيل، والرحمة، الفرج، إلى غير ذلك، من أجل أن لا يزيدوا ويشتدوا ويغلوا، فكل مقام له مقال، وتوضع الأمورفي مواضعها، هذا هو الميزان الصحيح، والناس ليسوا على حد سواء، كل يخاطب بما يستفيد منه ولا يتضرر به، فلا تأتي بآيات الوعد والرجاء عند المتساهلين، ولا تأتي بآيات الوعيد عند

المتشددّين، بل تكون كالطبيب تضع الدواء في موضعه المناسب، هكذا يكون طالب العلم، إذا كانت هناك أمور غامضة لا يعرفها العوام، ولا تتسع لها عقولهم، من المسائل العلمية، فلا تُلقى على العوام، وإنما تُلقى على طلبة العلم، وعلى الناس الذين يستوعبونها، ولهذا يقول ابن مسعود: "ما أنت بمحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة" وقال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله".

فالحاصل؛ أن طالب العلم والواعظ والمعلم يجب عليه أن يراعي أحوال الحاضرين وأحوال الناس، ويعطيهم ما يحتاجون إليه من المسائل، ولا يُلقى عليهم المسائل الغريبة التي لم يتوصلوا إليها، فلو أتيت عند طلبة علم مبتدئين، فلا تلق عليهم غرائب المسائل التي لا يعرفها إلاَّ الراسخون في العلم، بل تعلمهم مبادئ مبسطة سهلة يتدرّجون بها شيئاً فشيئاً، لا تطلب من طالب مبتدئ أن يقرأ في "صحيح البخاري"، لأنه لم يصل إلى هذا الحد لكن لَقِّنه "الأربعين النووية"، والأحاديث القريبة، وشروط الصلاة، وأحكام الطهارة، إلى آخره، وإنسان مبتدئ بعلم العربية، لا تأمره بقراءة كتاب سيبويه؟، لكن تأمره بقراءة "الأجرُّوميَّة"، ومسائل مبسطة، يدخل بها على اللغة العربية والنحو، شيئاً فشيئاً، ولذلك ألف العلماء المختصرات والمتوسطات والمطوّلات، من أجل إن طالب العلم يمشي مراحل، شيئاً فشيئاً، الحاصل: أن

كل شيء له شيء، وكل مقام له مقال.اهـ

وقال (٢/ ١٣٤-١٣٥):

قال: "وفي صحيح البخاري: قال عليّ": علي بن أبي طالب يخاطِب العلماء، ويقول لهم: "حدِّثوا النّاس بما يعرفون" أي: تكلّموا عندهم بما يعرفون، أي: بما لا تستنكِرُه عقولهم، بل حدِّثوهم بما تتحمّله عقولهم، وتُدركه أفهامُهم، ولا تُسمعوهم شيئاً لا يفهمون معناه، أو يجهلونه، فيبادِرون إلى تكذيبه فتوقعونهم في الحَرج.

وكأنّه قال هذه المقالة لمّا كثُر القُصّاص في وقته، وهم: الوُعّاظ، والوُعّاظ يحرصون على أن يخوِّفوا الناس، فيذكُرون لهم كلّ ما قرأوا أو سمعوا من الأخبار والأحاديث، سواءً كانت صحيحة أو غير صحيحة، وسواء كان النّاس يفهمونها أو لا يفهمونها. وهذا أمرٌ لا يجوز، فالحاضرون يحدِّثون بما تتحمّلُه عقولهم، ربما ينفعُهم، أما ذكر الأشياء التي تشوِّش عليهم- وقد تحمِل بعضَهم على التكذيب- فهذا أمرٌ محرّمٍ، فينبغي للقاصّ والواعظ والخطيب والمتحدِّث أن يراعيَ أحوال السّامعين، فيتكلّم معهم بما يُناسِب حالهم: إنْ كان يتكلّم في وسط علماء يتكلّم بالكلام اللاّئق بأهل العلم، وإن كان يتكلّم في وسط عوام فيتكلّم بما يناسبهم وبما تتحملّه عقولهم، ويحرص على ما ينفعهم أيضاً، ويعلِّمهم أُمور دينهم: أمور عقيدتهم وصلاتهم، وأُمور عبادتهم، ويحذّرهم من المعاصي ومن المحرّمات، ولا يدخُل في المواضيع العلميّة البعيدة عن أفهام

العوامّ.

وهذه حكمةٌ عظيمة من أمير المؤمنين رضي الله عنه: أنه أمر أن يراعى أحوال الحاضرين وأحوال السّامعين، فيحدّثون بما يتناسب مع مستواهم العلميّ.

ويا ليت المتحدِّثين في وقتنا هذا والخُطباء يمشون على هذا النّظام وهذه القاعدة التي قالها أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

فهذه قاعدة للمتحدِّثين في كل وقت: أنّ المتحدِّث يراعِي أحوالَ السّامعين: إنْ كان في وسطٍ علمي يتحدّث بما يناسِبه، وإن كان في وسط عامِّي يتحدّث بما يناسبه، وإنْ كان في وسط مختَلِط من العلماء ومن الجُهّال ومن العوام فإنه يلاحظ الواقع، فيتحدّث بحديث يستفيدُ منه الحاضرون ويفهمونه من أُمور دينهم، ويدرِّسون العقائد والعلوم شيئاً فشيئاً حتى تتسع لها عقولهم، وتتقبلها أفهامهم.

ولا يدخل في هذا ذكر نصوص الأسماء والصّفات بدليل قول ابن عباس الآتي لما ذكر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصّفات. وإنما هذا خاص بأحاديث القصاصالتي قد تكون مكذوبة أو لا تتحملها عقول الناس.اهـ

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في التمهيد لشرح كتاب التوحيد - (١٢٤)

" وفي صحيح البخاري قال علي رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ " هذا فيه دليل على أن بعض العلم لا يصلح لكل أحد ؛ فإن من العلم ما هو خاص ، ولو كان نافعا في نفسه ومن أمور التوحيد ، لكن ربما لا يعرفه كثير من الناس ، وهذا من مثل بعض أفراد توحيد الأسماء والصفات كبعض مباحث الأسماء والصفات ، وذكر بعض الصفات لله - جل وعلا - فإنها لا تناسب كل أحد حتى إن بعض المتجهين إلى العلم قد لا تطرح عليه بعض المسائل الدقيقة في الأسماء والصفات ، ولكن يؤمرون بالإيمان بذلك إجمالا ، والإيمان بالمعروف والمعلوم المشتهر في الكتاب والسنة ، أما دقائق البحث في الأسماء والصفات فإنما هي للخاصة ، ولا تناسب العامة والمبتدئين في طلب العلم ؛ لأن منها ما يشكل ، ومنها ما قد يؤول بقائله إلى أن يكذب الله ورسوله ، كما قال هنا علي رضي الله عنه : " حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟! فمناسبة هذا الأثر لهذا الباب : أن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات ؛ لأن عامة الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم وإسلامهم ، فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطب يعقل ذلك ويعيه ، وليس أكثر الناس كذلك ؛

ولهذا نهى الإمام مالك - رحمه الله - لما حدث عنده بحديث الصورة نهى المتحدث بذلك ؛ لأن العامة لا يحسنون فهم مثل هذه المباحث ، وهكذا في بعض المسائل في الأسماء والصفات لا تناسب العامة ، فقد يكون سبب الجحد تحديث الرجل ببحث لا يعقله ، فيؤول به ذلك إلى أن يجحد شيئا من العلم بالله - جل وعلا - ، أو يجحد شيئا من الأسماء والصفات . فالواجب على المسلم وبخاصة طالب العلم أن لا يجعل الناس يكذبون شيئا مما قاله الله - جل وعلا - أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ووسيلة ذلك التكذيب أن يحدث الناس بما لا يعرفون ، وبما لا تبلغه عقولهم ، كما جاء في الحديث الآخر : " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " ، وقد بوب على ذلك البخاري في الصحيح في كتاب العلم بقوله : " باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه " ، وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي للمعلم والمتحدث والواعظ والخطيب أن يعيه ، وأن يحدث الناس بما يعرفون وأن يجعل تقوية التوحيد وإكمال توحيدهم والزيادة في إيمانهم بما يعرفون لا بما ينكرون .اهـ

قال الشيخ سلمان بن عبد الله في «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٩٩): "قال الحافظ فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، ومثله قول ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتة"

رواه مسلم.

قال: ومن رأى التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان. ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين، وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة وعن الحسن: أنه أنكر على أنس تحديث الحجاج بقصة العرنيين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي.

وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب اهـ.

قال الشيخ سلمان: "وما ذكره عن مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن فهل يقول مالك أو غيره من علماء الإسلام أن آيات الصفات لا تتلى على العوام، وما زال العلماء قديماً وحديثاً من أصحاب النبي ومن بعدهم يقرؤون آيات الصفات وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم.

بل شرط الإيمان هو الإيمان بالله وصفات كماله التي وصف بها نفسه في كتابه أو على لسان رسول الله ، فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين، بل نقول: من لم يؤمن بذلك فليس من المؤمنين، ومن وجد في قلبه حرجاً من ذلك فهو من المنافقين، ولكن هذا من بدع الجهمية وأتباعهم الذين ينفون صفات الرب تبارك وتعالى، فلما رأوا أحاديث الصفات مبطلة لمذاهبهم قامعة لبدعهم

تواصوا بكتمانه عن عوام المؤمنين لئلا يعلموا ضلالهم وفساد اعتقادهم فافهم ذلك" اهـ.

معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى

من المتقرر والمعلوم أنه لا يعرف كيف الله عز وجل إلا هو سبحانه وتعالى، ولهذا إنما يعرف سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فعلى هذا لا سبيل للعبد أن يعرف ربه إلا بهذين الشيئين.

قال ابن القيم رحمه الله في «الصواعق المرسلة» (٢/ ٦٨٤) في بيان معاني ألفاظ القرآن:

القسم الأول: تعريفه سبحانه نفسه لعباده بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله، وأفعاله وأنه واحد لا شريك له وما يتبع ذلك اهـ.

وقال في الفوائد (ص٢٧) قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ، ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يتضمن الأصل الأول وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله اهـ.

ولما كانت معرفة الله عز وجل لا تتم إلا بهذه الطريقة فقد قرر علماء السلف هذه القاعدة وساروا عليها، وهي أن أسماء الله توقيفية أي إثباتها ونفيها لا سبيل إليه إلا بالكتاب والسنة الصحيحة.

فما أثبته الله عز وجل ورسوله □ أثبتناه وما نفاه الله عز وجل ورسوله □ نفيناها.

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية» (ص٤٢) مع الشرح: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه العزيز، وبما وصفه به رسوله محمداً ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له، ولا ندل له، ولا يقاس بخلقه سبحانه.

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مُصدَّقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢]. فسبح نفسه عمَّا وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. اهـ.

أحاديث وآيات الصفات من المحكم أم من المتشابه

أولاً: معنى التشابه والإحكام:

تعريف المحكم لغة –الحاء والكاف والميم– أصل واحد وهو المنع، ومنه قول الشاعر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

«معجم مقاييس اللغة» (ص٢٧٧) و«لسان العرب» (٣/ ٢٧٢).

والمحكم: المتقن، قال الفيومي في «المصباح المنير» (ص٥٦): وأحكمت الشيء بالألف أتقنته، فاستحكم هو صار كذلك اهـ.

تعريف المتشابه لغة: قال ابن فارس في «معجم المقاييس» (ص٥٤٨): الشين والباء والهاء واحد يدل على تشابه الشيء وتشكله لوناً ووصفاً اهـ.

تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحاً:

تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحاً: اختلف العلماء فيه إلى أقوال:

أحدها: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه ما احتاج إلى بيان.

ثانيها: أن المحكم ما علم تفسيره العلماء والمتشابه ما لم يكن للعلماء أي سبيل إلى معرفته كقيام الساعة.

ثالثها: أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور.

رابعها: أن المتشابه ما اشتبهت معانيه.

خامسها: أن المتشابه ما تكررت ألفاظه.

سادسها: أن المتشابه ما احتمل وجوهاً.

سابعها: أن المتشابه هو القصص والأمثال.

ثامنها: أن المتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به.

تاسعها: قول بعض المتأخرين أن المتشابه آيات وأحاديث الصفات(١).

وقد ورد التشابه والإحكام في القرآن على ثلاثة أنواع:

الأول: أن القرآن كله محكم كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

الثاني: أن القرآن كله متشابه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[الزمر:٢٣].

الثالث: أن القرآن منه محكم ومتشابه كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[آل عمران:٧].

ولا تعارض بين هذه الثلاث الآيات، فالآية الأولى من حيث اتقان القرآن وصدقه ووضوحه وبيانه وإحكامه فكله محكم.

والثاني: أن القرآن متشابه في إحكامه وإتقانه وعدله وقصصه تُمر كما

---

(١) الفتاوى لشيخ الإسلام (١٧/ ٤١٧-٤٢٤).

جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض ما دلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغيرها ....

وقال (ص٢/ ١٢٩) الثاني: أنه إذا قل هذه من المتشابه أو كان فيها ما هو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدل به الجمهي متشابه.

فيقال الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله، أما المتشابه وإما القرآن كله على ما تقدم.

ونفي علم تأوله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة ...ويؤيده أيضاً أنه قد ثبت أن في القرآن متشابهاً وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا.

وإنما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولاً أن نفي علم التأويل ليس نفياً لعلم المعنى اهـ.

والثالث: أن في القرآن آيات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو

بعضهم.

فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم بمحكمه على متشابهه فقد اهتدى ومن عكس انعكس(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في التفسير الكبير (٢/ ١١٥): "وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأوله إلا الله أو اعتقاد أن ذلك من المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ... فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه؟

فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك فإني لا أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم أحد معناه.

وقال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص٢٩٣) مع شرح البراك: ومما يوضح هذا أن الله وصف القرآن كله بأنه محكم وبأنه متشابه وفي موضع آخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه ؛

والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه قال الله تعالى : {الر كتاب أحكمت آياته

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧).

ثم فصلت } فأخبر أنه أحكم آياته كلها ، وقال تعالى : { الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني } فأخبر أنه كله متشابه والحكم هو الفصل بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين ، والحكم فصل بين المتشابهات علما وعملا إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار فيقال : حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه وحكمت الدابة وأحكمتها إذا جعلت لها حكمة وهو ما أحاط بالحنك من اللجام وإحكام الشيء إتقانه فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامره ، والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان فقد سماه الله حكيما بقوله : { الر تلك آيات الكتاب الحكيم } فالحكيم بمعنى الحاكم ؛ كما جعله يقص بقوله : { إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون } ، وجعله مفتيا في قوله : { قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب } أي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن وجعله هاديا ومبشرا في قوله : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات } وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله : { ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا } وهو الاختلاف المذكور في قوله : { إنكم لفي قول مختلف } { يؤفك عنه من أفك } . فالتشابه هنا : هو تماثل الكلام وتناسبه : بحيث يصدق بعضه بعضا ؛ فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ؛ بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ؛

وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى أو يأمر به وينهى عنه في وقت واحد ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر فالأقوال المختلفة هنا : هي المتضادة . والمتشابهة : هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني وإن اختلفت الألفاظ فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضا ويعضد بعضها بعضا ويناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض ويقتضي بعضها بعضا : كان الكلام متشابها ؛ بخلاف الكلام المتناقض الذي يضاد بعضه بعضا فهذا التشابه العام : لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا بخلاف الإحكام الخاص ؛ فإنه ضد التشابه الخاص والتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث

يشتبه على بعض الناس إنه هو أو هو مثله وليس كذلك والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون مشتبها عليه ومنهم من يهتدي إلى ذلك ؛ فالتشابه الذي لا يتميز

معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب الشبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل حتى تشتبه على بعض الناس ؛ ومن أوتي العلم بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور بما لا يشبهه فيه فمن عرف الفصل بين الشيئين : اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد ؛ وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد اهـ".

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى:"واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه؟ وهذا من جهة غلط ومن جهة قد يسوغ كما بينه الإمام مالك بن أنس، أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة".

كذلك يقال في النزول: "النزول غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة، واطراده في جميع الصفات؛ لأن هذه الصفات معروفة عند العرب، إلا أن ما وصف به خالق السماوات والأرض أكمل وأجل وأعظم من أن

يشبهه شيئاً من صفات المخلوقين".

وقال ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «القول المفيد» (٢/ ١٩٧): "وبعض أهل العلم يظنون أن في القرآن ما لا يمكن الوصول إلى معناه، فيكون من المتشابه المطلق، ويحملون آيات الصفات على ذلك، وهذا من الخطأ العظيم؛ إذ ليس من المعقول أن يقول الله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]، ثم تستثني آيات الصفات وهي أعظم وأشرف موضوعاً وأكثر من آيات الأحكام ولو قلنا بذلك لكان أشرف ما في القرآن موضوعاً يكون خفياً، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي آيات الأحكام فقط، وهذا غير معقول، بل جميع القرآن يفهم معناه؛ إذ لا يمكن أن تكون هذه الآمة من رسول الله ﷺ إلى آخرها لا تفهم معنى القرآن وعلى رأيهم يكون رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وجميع الصحابة يقرؤون آيات الصفات وهم لا يفهمون معناها، بل هي عندهم بمنزلة الحروف الهجائية أ، ب، ت... والصواب أنه ليس في القرآن شيء متشابه على جميع الناس من حيث المعنى، ولكن الخطأ في الفهم" اهـ.

صفات الله كمال محض لا نقص فيها بوجه من الوجوه

تختلف مدارك العباد من شخص إلى شخص، فقد يرى بعض الأشـخاص أن صفة كذا كمال، واسم كذا مثله بينما أهل العلم و من عرف بعض هذا البـاب تجد عنه انضباطاً وتؤمن الغوائل.

قال ابن القيم رحمه الله في «البدائع» (١/ ٢٩٥): الصفات ثلاثة أنواع:

صفات كمال.

وصفات نقص.

وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصاً، وإن كانت القـسمة التقديريـة تقتـضي قسماً رابعاً وهو ما يكون كمالاً ونقصاً باعتبارين، والرب تعالى منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول من الصفات بأكملها، وله من الكـمال أكملـه، وهكذا أسماؤه فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامهـا ولا يـؤدي معناها اهـ.

لا يثنى على الله عز وجل
إلا بأسمائه وصفاته، ولا يُسأل إلا بها

المسلم محتاج إلى الثناء على الله عز وجل، وذكره ودعائه ورجائه، وإذا لم يكن عارفاً عالماً بما جاء عن رسول الله أو بعض ما جاء تجده مضطرباً لا يدري ما يقول ربما سمى الله بما لم يسم به نفسه، ودعاه بغير الأسماء الحسنى، وتوسل إليه بغير أسمائه وصفاته، وبما يشرع به التوسل، ويستخدم أسماء الجلال والعظمة في مواطن أسماء الجمال والإحسان والعكس، وكم نسمع ممن يدعو على الكافرين من الدعاة والخطباء والوعاظ فضلاً عن العوام، يقول: اللهم عليك بالكافرين يا أرحم الرحمين، وهذا من الجهل المركب الذي نسأل الله العصمة منه.

قال ابن القيم في «البدائع» (١/ ٢٨٨): فلا يُثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال يا موجد أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني!!

بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه وجدها مطابقة لهذا اهـ.

عدم بث آيات وأحاديث الصفات بين العوام يؤدي بهم إلى عدم استخدام الألفاظ الشرعية في هذا الباب

الله عز وجل حين أنزل القرآن، وعلم البيان ما فرط في شيء قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[الأنعام:٣٨].

الأخذ بالألفاظ الشرعية مطلوب شرعاً، وكم من لفظ يستخدمه الناس ظناً منهم أن لا شيء فيه بينما الراجع إلى كتب أهل العلم يجد التحذير من مثل هذه الألفاظ، ويكون النهي عنها إما تحريماً أو كراهة.

وكان بعض المسلمين يقولون: راعنا فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾[البقرة:١٠٤].

وقال رسول الله : «لا يقلن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي»أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

وهذه بعض من كل، فإذا كان الرسول أنكر عليهم في هذه الأبواب، فمن باب أولى –باب الأسماء والصفات–.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموعة العلية»(١١٤): لكن اتباع الألفاظ الشرعية في هذا الباب من الأدب المشروع لنا إما إيجاباً وإما استحباباً. اهـ.

إذا لم يعلم العوام الأسماء الحسنى والصفات العلى قد يقعون في الإلحاد في هذا الباب

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

الأول: أن يسمي الأصنام بها.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله.

الثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص.

الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول: سميع بلا سمع...

الخامس: تشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه[1].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨-٢٩٩).

رد شيخ الإسلام على من أنكر عليه تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات

الوجه الأول

قال شيخ الإسلام في التسعينية ١/ ١١٧- ١٨٦)

قَوْلَ الْقَائِلِ : نَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامّ وَلَا يَكْتُبَ بِهَا إلَى الْبِلَادِ وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا ، يَتَضَمَّنُ إبْطَالَ أَعْظَمِ أُصُولِ الدِّينِ وَدَعَائِمِهِ التَّوْحِيدِ ، فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ، وَ { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ } الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، كَمَا اسْتَفَاضَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَلِكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ الَّتِي لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا ، وَهِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ الَّتِي لَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ إلَّا بِهَا فَإِنَّ قَوْلَهُ : { الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } .

كُلُّ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَ { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ } قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ { أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِ { قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ } فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أُحِبُّ أَقْرَأُ بِهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ } .

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَا كَانَ صِفَةً للهِ مِنْ الْآيَاتِ فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهُ ، وَاَللهُ يُحِبُّ ذَلِكَ ، وَيُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ ذَلِكَ ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ آيَاتٍ فِي الصِّفَاتِ لِلصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ الَّتِي يَسْمَعُهَا الْعَامِّيُّ وَغَيْرُهُ ، بَلْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ أَوَّلُ سُورَةِ الْحَدِيدِ إلَى قَوْلِهِ : { وَاَللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } هِيَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ .

وَكَذَلِكَ آخِرُ سُورَةِ الْحَشْرِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ الصِّفَاتِ بَلْ جَمِيعُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى هِيَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَقَوْلِهِ : الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ؛ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ، الْعَزِيزُ الْقَوِيُّ ، الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ، الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ .

وَمَا أَخْبَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرِضَاهُ وَسَخَطِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَبُغْضِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعُلُوِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ ، فَهَلْ يَأْمُر مَنْ آمَنَ بِاَللهِ وَرَسُولِهِ بِأَنْ يُعْرَضَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ ، وَأَنْ لَا يُبَلِّغَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَحْوَهَا مِنْ الْأَحَادِيثِ ، وَأَنْ لَا يَكْتُبَ بِكَلَامِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ آيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا إلَى الْبِلَادِ وَلَا يُفْتِي فِي ذَلِكَ وِلَايَةً .

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } وَأَسْوَأُ أَحْوَالِ الْعَامَّةِ أَنْ يَكُونُوا أُمِّيِّينَ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْهَى أَنْ يُتْلَى عَلَى الْأُمِّيِّينَ آيَاتِ اللهِ ، أَوْ عَنْ أَنْ يُعَلِّمَ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ

الوجه الثاني

وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا قَبْلَ مَعْرِفَةِ الرِّسَالَةِ أَجْهَلَ مِنْ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ ، فَهَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَمْنُوعًا مِنْ تِلَاوَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ إيَّاهُ ، أَوَ مَأْمُورًا بِهِ أَوْ لَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ } الْآيَةَ ، وَقَالَ : { فَبِظُلْمٍ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا } أَوَلَيْسَ هَذَا نَوْعًا مِنْ الْأَمْرِ بِهَجْرِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَتَرْكِ اسْتِمَاعِهِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنْ الْمُجْرِمِينَ } الْآيَةَ .

وَقَالَ تَعَالَى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } وَقَالَ تَعَالَى : { وَالَّذِينَ إذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } فَهَلَّا قَالَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ لَا لِأَعْظَمَ مَا فِيهِ وَهُوَ مَا وَصَفْت بِهِ نَفْسِي فَلَا تَسْتَمِعُوهُ أَوْ لَا تُسْمِعُوهُ لِعَامَّتِكُمْ ، وَقَالَ تَعَالَى : { إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَانًا } ، وَقَالَ تَعَالَى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ } .

وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ } الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } الْآيَةَ ، وَقَالَ تَعَالَى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } ، وَقَالَ تَعَالَى : { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ } إِلَى قَوْلِهِ : { وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ

أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَحْذَرُهُ الْمُنَازِعُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ مَا يَزْعُمُ أَنَّ ظَاهِرَهَا كُفْرٌ وَتَجْسِيمٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، وقَوْله تَعَالَى { وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } .

: { مَا مَنَعَك أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ } ، وقَوْله تَعَالَى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّك ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } وَقَالَ تَعَالَى : { وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } وَقَالَ تَعَالَى : { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا } .

{ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ } الْآيَةَ .

فَهَلْ سُمِعَ أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ أَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ وَتُتْلَى عَلَى

الْعَامَّةِ وَهَلْ ذَلِكَ إلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ مَنَعَ مِنْ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّ ظَاهِرَهَا كُفْرٌ وَتَجْسِيمٌ وَخَبَرٌ يُخَالِفُ رَأْيَهُ كَقَوْلِهِ : { إنَّ اللهَّ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } ، وَقَوْلُهُ : { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا } وَقَوْلُهُ : { لَكِنْ اللهَّ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إلَيْك أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ } ، وَقَوْلُهُ : { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بِمَا شَاءَ } ، وقَوْله تَعَالَى : { فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } ، وَقَوْلُهُ : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } ، وَقَوْلُهُ : { مَنْ يُضْلِلْ اللهَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } وَقَوْلُهُ : { فَمَنْ يُرِدْ اللهَّ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } وَكَذَلِكَ آيَاتُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَأَحَادِيثُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ هَلْ يَتْرُكُ تَبْلِيغَهَا لِمُخَالَفَتِهَا لَهُ ، أَوْ الْوَعِيدِيَّةِ أَوْ الْمُرْجِئَةِ ، وَآيَاتُ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ كَقَوْلِهِ : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } .

وَقَوْلُهُ : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } وَقَوْلُهُ : { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } إلَى قَوْلِهِ : { إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وَقَوْلُهُ : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ، وَقَوْلُهُ : { فَلَا تَجْعَلُوا للهَّ أَنْدَادًا } .

وَنَحْوُ ذَلِكَ هَلْ يَتْرُكُ تِلَاوَتَهَا وَتَبْلِيغَهَا لِمُخَالَفَتِهَا لِرَأْيِ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ ؟ ، .

الْوَجْهُ الرَّابِعُ

أَنَّ كُتُبَ الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ هِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، بَلْ قَدْ بُوِّبَ فِيهَا أَبْوَابٌ مِثْلُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ " الَّذِي هُوَ آخِرُ كِتَابِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمِثْلُ كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد

وَكِتَابِ النُّعُوتِ " فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ فَإِنَّ هَـذِهِ مُفْـرَدَةٌ لِجَمْـعِ أَحَادِيـثِ الـصِّفَاتِ وَكَذَلِكَ قَدْ تَضَمَّنَ " كِتَابُ السُّنَّةِ " مِـنْ سُـنَنِ ابْـنِ مَاجَـهْ مَـا تَـضَمَّنَهُ وَكَـذَلِكَ تَضَمَّنَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ ، وَجَامِعُ التِّرْمِذِيِّ ، وَمُوَطَّأُ مَالِكٍ .

وَمُسْنَدُ الشَّافِعِيِّ ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَمُسْنَدُ مُوسَى بْنِ قُـرَّةَ الزُّبَيْـدِيِّ ، وَمُسْنَدُ أَبِي دَاوُد الطَّيَالِسِيِّ ، وَمُسْنَدُ ابْنِ وَهْبٍ ، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ مَنِيعٍ .

وَمُسْنَدُ مُسَدَّدٍ ، وَمُسْنَدُإِسْحَاقَ بْـنِ رَاهْوَيْـهِ ، وَمُـسْنَدُ مُحَمَّـدِ بْـنِ أَبِي عُمَـرَ الْعَدَنِيِّ ، وَمُسْنَدُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَمُسْنَدُ بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَمُسْنَدُ الْحُمَيْدِيِّ .

وَمُسْنَدُ الدَّارِمِيِّ ، وَمُسْنَدُ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، وَمُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ ، وَمُـسْنَدُ الْحَسَنِ بْنِ سُـفْيَانَ ، وَمُـسْنَدُ أَبِي بَكْـرٍ الْبَـزَّارِ ، وَمُعْجَـمُ الْبَغَـوِيّ ، وَالطَّـبَرَانِيِّ ، وَصَـحِيحُ أَبِي حَـاتِمِ بْـنِ حِبَّـانَ ، وَصَـحِيحُ الْحَـاكِمِ ، وَصَـحِيحُ الْإِسْـمَاعِيلِيِّ ، وَالْبَرْقَانِيِّ ، وَأَبِي نُعَيْمٍ ، وَالْجَوْزَقِيِّ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْمُصَنَّفَاتِ الْأُمَّهَـاتِ الَّتِـي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ : دَعْ مَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ حَمَّـادِ بْـنِ سَـلَمَةَ ، وَعَبْـدِ اللهِ بْـنِ الْمُبَارَكِ ، وَجَامِعِ الثَّوْرِيِّ ، وَجَـامِعِ ابْـنِ عُيَيْنَـةَ ، وَمُـصَنَّفَاتِ وَكِيـعٍ ، وَهُـشَيْمٍ ، وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ ، وَمَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ .

فَهَلْ امْتَنَعَ الْأَئِمَّة مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى عَامَّـةِ الْمُـؤْمِنِينَ ، أَوْ مَنَعُـوا مِنْ ذَلِكَ .

أَمْ مَا زَالَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ يَحْضُرُ قِرَاءَتَهَا أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ قَـدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَيْضًا فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ لَمَّا حَدَّثَ بِهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ اتَّـبَعَهُمْ

مِنْ الْمُخَالِفِينَ ، هَلْ كَانُوا يُخْفُونَهَا عَنْ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَكَاتَمُونَهَا وَيُوصُونَ بِكِتْمَانِهَا ، أَمْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِهَا كَمَا كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِسَائِرِ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ رِوَايَةِ بَعْضِهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَهَذَا كَمَا قَدْ كَانَ هَذَا يَمْتَنِعُ عَنْ رِوَايَةِ بَعْضِ أَحَادِيثَ فِي الْفِقْهِ وَالْأَحْكَامِ وَبَعْضِ أَحَادِيثِ الْقَدْرِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مَخْصُوصًا بِهَذَا الْبَابِ ، وَهَذَا كَانَ يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ وَيُخَالِفُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَرَى أَنَّ

رِوَايَتَهَا تَضُرُّ بَعْضَ النَّاسِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ، وَيَرَى الْآخَرُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ بَلْ يَنْفَعُ ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا قَدْ يَتَنَازَعُونَ فِيهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ .

فَأَمَّا الْمَنْعُ مِنْ تَبْلِيغِ عُمُومِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ ، فَهَذَا مَا ذَهَبَ إلَيْهِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَإِنَّمَا هَذَا وَنَحْوُهُ رَأْيُ الْخَارِجِينَ الْمَارِقِينَ مِنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، كَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ وَهُوَ عَادَةُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ثُمَّ الْأَحَادِيثُ الَّتِي يَتَنَازَعُ الْعُلَمَاءُ فِي رِوَايَتِهَا ، أَوْ الْعَمَلُ بِهَا لَيْسَ لِأَحَدِ الْمُتَنَازِعِينَ أَنْ يُكْرِهَ الْآخَرَ عَلَى قَوْلِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ .

لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } .

الْوَجْهُ الْخَامِسُ : أَنَّهُ إذَا قُدِّرَ فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللهِ وَالرَّسُولِ } ، فَأَمَرَ اللهُ الْأُمَّةَ عِنْدَ التَّنَازُعِ بِالرَّدِّ إلَيْهِ

وَإِلَى رَسُولِهِ وَوَصَفَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ ذَلِكَ بِالنِّفَاقِ وَالْكُفْرِ ، فَقَالَ تَعَالَى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } إِلَى قَوْله : { بَلِيغًا } فَوَصَفَ سُبْحَانَهُ مَنْ دُعِيَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ بِالنِّفَاقِ ، وَإِنْ زَعَمَ

أَنَّهُ يُرِيدُ التَّوْفِيقَ بِذَلِكَ بَيْنَ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ يُرِيدُ إِحْسَانَ الْعِلْمِ أَوْ الْعَمَلِ ، وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } الْآيَةَ وَقَالَ تَعَالَى : { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ } إِلَى قَوْلِهِ : { وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } .

الْوَجْهُ السَّادِسُ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ } الْآيَةَ ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ } الْآيَةَ فَمَنْ أَمَرَ بِكَتْمِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ، وَهَذَا مِمَّا ذَمَّ اللهُ بِهِ عُلَمَاءَ الْيَهُودِ ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الزَّائِغِينَ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ مِنْ هَذِهِ

الْأُمَّةِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ } ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ } .

الْوَجْهُ السَّابِعُ : أَنَّ مَنْ أَمَرَ بِكِتْمَانِ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ، وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِوَصْفِ اللهِ بِصِفَاتٍ أَحْدَثَهَا الْمُبْتَدِعُونَ ، تَحْتَمِلُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، أَوْ تَجْمَعُ حَقًّا

وَبَاطِلًا ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ ، وَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ، فَهَذَا مُضَاهَاةٌ لِمَا ذَمَّ اللهُ بِهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَيْثُ قَالَ : { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ } ، وَقَالَ : { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } إِلَى قَوْلِهِ : { مِمَّا يَكْسِبُونَ } .

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَتَبُوا هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا ، وَقَالُوا لِلْعَامَّةِ هَذَا أَمْرُ اللهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَهَذَا كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى اللهِ ، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَى ذَلِكَ كِتْمَانَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ، فَقَدْ ضَاهُوا أَهْلَ الْكِتَابِ فِي لَبْسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَكِتْمَانِ الْحَقِّ قَالَ تَعَالَى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } إِلَى قَوْلِهِ { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } .

وَقَالَ تَعَالَى : { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ

وَيَقُولُونَ عَلَى اللهَّ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } .

الْوَجْهُ الثَّامِنُ : أَنَّ هَذَا خِلَافُ إِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ، فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي غَيْرِهِ عَلَى وُجُوبِ إِتْبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَذَمِّ مَا أَحْدَثَهُ أَهْلُ الْكَلَامِ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ .

مِثْلُ مَا رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالْكَائِيُّ فِي أُصُولِ السُّنَّةِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا ، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، ثُمَّ سَكَتُوا فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ لَا شَيْءَ .

الْوَجْهُ التَّاسِعُ : فَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْإِجْمَاعَ عَلَى وُجُوبِ الْإِفْتَاءِ فِي بَابِ الصِّفَاتِ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، دُونَ قَوْلِ جَهْمٍ الْمُتَضَمِّنِ لِلنَّفْيِ ، فَمَنْ قَالَ لَا يُتَعَرَّضُ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامّ ، وَلَا يُكْتَبُ بِهَا إِلَى الْبِلَادِ ، وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا ، بَلْ يَعْتَقِدُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ النَّفْيِ ، فَقَدْ خَالَفَ هَذَا الْإِجْمَاعَ ، وَمِنْ أَقَلِّ مَا قِيلَ فِيهِمْ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ .

الْوَجْـهُ الْعَاشِـرُ : أَنَّ قَـوْلَ الْقَائِـلِ : " لَا يَتَعَـرَّضُ لِأَحَادِيـثِ الـصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا عِنْدَ الْعَوَامّ ، وَلَا يَكْتُبُ بِهَا إِلَى الْبِلَادِ ، وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا " .

إِمَّا أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا تُـتْلَى هَـذِهِ الْآيَـاتُ وَهَـذِهِ الْأَحَادِيـثُ عِنْـدَ عَـوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بُطْلَانُهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ هَذَا الْقَـوْلُ إِنْ أُخِذَ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، فَهُوَ كُفْرٌ صَرِيحٌ فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى مَا عَلِمُـوهُ بِالِاضْـطِرَارِ مِنْ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الـصَّلَوَاتِ فَرْضِـهَا وَنَفْلِهَـا ، وَاسْـتِمَاعِ جَمِيـعِ الْمُـؤْمِنِينَ لِذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ تِلَاوَتُهَا وَإِقْرَاؤُهَا وَاسْتِمَاعُهَا خَارِجَ الصَّلَاةِ هُوَ مِنْ الدِّينِ الَّذِي لَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَذَلِكَ تَبْلِيغُ الْأَحَادِيثِ فِي الْجُمْلَةِ هُوَ مِمَّا اتَّفَـقَ عَلَيْـهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ .

إِذْ مَا مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ إِلَّا وَلَا بُدَّ أَنْ تَرْوِيَ عَـنْ النَّبِـيِّ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ أَوْ النَّفْيِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُوصَـفُ بِالْإِثْبَـاتِ ، وَهُوَ إِثْبَاتُ مَحَامِدِهِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتَمْجِيدِهِ ، وَيُوصَفُ بِالنَّفْيِ ، وَهُوَ نَفْـيُ الْعُيُـوبِ وَالنَّقَائِصِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وَإِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ حُكْمُهَا كَذَا وَكَذَا إِمَّا إِقْرَارٌ وَتَأْوِيـلٌ أَوْ غَـيْرُ ذَلِـكَ فَإِنْ أَرَادَ هَذَا فَيَنْبَغِي لِقَائِلِ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَزِمَ مَا أَلْزَمَ بِهِ غَـيْرَهُ ، فَـلَا يَنْطِـقُ فِي حُكْـمِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيـثِ بِـشَيْءٍ ، وَلَا يَقُـولُ الظَّـاهِرُ مُـرَادٌ أَوْ غَـيْرُ مُـرَادٍ ، وَلَا التَّأْوِيلُ سَائِغٌ ، وَلَا هَذِهِ النُّصُوصُ لَهَا مَعَانٍ أُخَرُ ، وَنَحْوُ ذَلِـكَ إِذْ هَـذَا تَعَـرُّضٌ لِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ، وَإِذَا الْتَزَمَ هُوَ ذَلِكَ وَقَـالَ لِغَـيْرِهِ : الْتَزِمْ مَا الْتَزَمْتُهُ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهَا وَلَا تَنْقُصْ مِنْهَا ، فَإِنَّ هَـذَا عَـدْلٌ بِخِـلَافِ مَـا إِذَا

نَهَى غَيْرَهُ عَنْ الْكَلَامِ عَلَيْهَا مَعَ تَكَلُّمِهِ هُوَ عَلَيْهَا ، كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَلَا يَكْتُبُ بِهَا إلَى الْبِلَادِ وَلَا فِي الْفَتَاوَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا .

إنْ أَرَادَ أَنَّهَا أَنْفُسَهَا لَا تُكْتَبُ وَلَا يُفْتَى بِهَا ، فَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ فَسَادُهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَرَادَ لَا يَكْتُبُ بِحُكْمِهَا ، وَلَا يُفْتِي الْمُسْتَفْتِيَ عَنْ حُكْمِهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : فَعَلَيْك أَيْضًا أَنْ تَلْتَزِمَ ذَلِكَ وَلَا تُفْتِي أَحَدًا فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ الْأُمُورِ النَّافِيَةِ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ أَمْرُك لِغَيْرِك بِمِثْلِ مَا فَعَلْته عَدْلًا .

أَمَّا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ إلَى هَذِهِ النُّصُوصِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِأَنْوَاعِ التَّحْرِيفَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ جُمْلَةً أَوْ تَفْصِيلًا ، وَيَقُولُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْتُمْ لَا تُعَارِضُونَ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِيهَا ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ .

الْوَجْهُ الْحَادِيَ عَشَرَ : أَنَّ سَلَفَ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتَهَا مَا زَالُوا يَتَكَلَّمُونَ وَيُفْتُونَ وَيُحَدِّثُونَ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ الصِّفَاتِ ، وَهَذَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَنِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهُ إلَّا اللَّهُ ، حَتَّى إنَّهُ لَمَّا جَمَعَ النَّاسُ الْعِلْمَ وَبَوَّبُوهُ فِي الْكُتُبِ ، فَصَنَّفَ ابْنُ جُرَيْجٍ التَّفْسِيرَ وَالسُّنَنَ ، وَصَنَّفَ مَعْمَرٌ أَيْضًا ، وَصَنَّفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَصَنَّفَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَقْدَمِ مَنْ صَنَّفَ فِي الْعِلْمِ صَنَّفُوا هَذَا الْبَابَ ، فَصَنَّفَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ ، كَمَا صَنَّفَ كُتُبَهُ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ .

وَقَدْ قِيلَ : إنَّ مَالِكًا إنَّمَا صَنَّفَ الْمُوَطَّأَ تَبَعًا لَهُ ، وَقَالَ : جَمَعْت هَذَا خَوْفًا مِنْ الْجَهْمِيَّةِ أَنْ يُضِلُّوا النَّاسَ ، لَمَّا ابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ النَّفْيَ وَالتَّعْطِيلَ حَتَّى إنَّهُ لَمَّا

صُنِّفَ الْكُتُبُ الْجَامِعَةُ ، صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِيهَا كَمَا صَنَّفَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَصَنَّفَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَصَنَّفَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ كِتَابَهُ فِي الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَكِتَابَهُ فِي النَّقْضِ عَلَى الْمُرِيسِيِّ وَصَنَّفَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رِسَالَتَهُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَأَمْلَى فِي أَبْوَابِ ذَلِكَ حَتَّى جَمَعَ كَلَامَهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ وَصَنَّفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ كِتَابَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ ، وَصَنَّفَ كُتُبَ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ طَوَائِفُ مِثْلُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَحْمَدَ ، وَحَنْبَلِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَأَبِي بَكْرٍ الْأَثْرَمِ ، وَخُشَيْشِ بْنِ أَصْرَمَ شَيْخِ أَبِي دَاوُد .

وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ ، وَالْحَكَمِ بْنِ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيِّ وَلِأَبِي بَكْرٍ الْخَلَّالِ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيِّ ، وَأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَأَبِي أَحْمَدَ الْعَسَّالِ وَأَبِي بَكْرٍ الْآجُرِّيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ ، كِتَابُ الصِّفَاتِ وَكِتَابُ الرُّؤْيَةِ ؛ وَأَبِي عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَنْدَهْ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهَّ ابْنِ بَطَّةَ ، وَأَبِي قَاسِمٍ اللَّالَكَائِيِّ ، وَأَبِي عُمَرَ الطَّلْمَنْكِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَأَيْضًا فَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ وَالتَّصَوُّفِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ ، وَتَكَلَّمُوا فِي إِثْبَاتِ مَعَانِيهَا ، وَتَقْرِيرُ صِفَاتِ اللهَّ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ ، لَمَّا ابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ جَحْدَ ذَلِكَ وَالتَّكْذِيبَ لَهُ ، كَمَا فَعَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيُّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ ، وَكَمَا فَعَلَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَبُو عَبْدِ اللهَّ بْنُ حَامِدٍ ،

وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى ، وَكَمَا فَعَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كِلَابٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ الطَّبَرِيُّ ، وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ .

الْوَجْهُ الثَّانِيَ عَشَرَ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، وَأَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ النِّعْمَةَ وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، وَبَيَّنَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَعْظَمُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ تَعْرِيفَهُمْ رَبَّهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا ، وَمَا يَجِبُ وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَيَثْبُتُ لَهُ فَيُحْمَدُ وَيُثْنَى بِهِ عَلَيْهِ وَيُمَجَّدُ بِهِ ، وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ ، فَيُنَزَّهُ عَنْهُ وَيُقَدَّسُ .

ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ الَّذِينَ عَطَّلُوا حَقِيقَةَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا ، وَسَلَكُوا مَسْلَكَ إِخْوَانِهِمْ الْمُعَطِّلَةِ الْجَاحِدِينَ لِلصَّانِعِ وَصَارَ أَغْلَبُ مَا يَصِفُونَ بِهِ الرَّبَّ هُوَ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ الْعَدَمِيَّةُ ، وَلَا يُقِرُّونَ إِلَّا بِوُجُودٍ مُجْمَلٍ ، ثُمَّ يَقْرُنُونَهُ بِسَلْبٍ يَنْفِي الْوُجُودَ ، وَمِنْ أَبْلَغِ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ ، وَأَنْزَلَ بِهَا كُتُبَهُ ، مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْإِثْبَاتِ الْمُفَصَّلِ ، وَالنَّفْيِ الْمُجْمَلِ ، كَمَا يُقَرِّرُ فِي كِتَابِهِ ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَيَقُولُ فِي النَّفْيِ .

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } ، { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } ، { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } .

وَعَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ اتِّبَاعُ الْمُرْسَلِينَ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ ، وَأَمَّا طَرِيقَةُ هَؤُلَاءِ ، فَهِيَ نَفْيٌ مُفَصَّلٌ ، لَيْسَ بِكَذَا وَلَا كَذَا ، وَإِثْبَاتٌ مُجْمَلٍ .

يَقُولُونَ : هُوَ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ لَا يُوصَفُ إلَّا بِسَلْبٍ أَوْ إضَافَةٍ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَكُلُّ مَنْ عَلِمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ ، عَلِمَ أَنْ هَؤُلَاءِ فِي غَايَةِ الْمُشَاقَّةِ وَالْمُحَادَّةِ وَالْمُحَارَبَةِ للهَّ وَرُسُلِهِ وَانْتَدَبَ هَؤُلَاءِ فِي تَقْرِيرِ شُبَهٍ عَقْلِيَّةٍ يَنْفُونَ بِهَا الْحَقَّ ، وَتَأَوَّلُوا كِتَابَ اللهَّ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ ، فَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَلْحَدُوا فِي أَسْمَاءِ اللهَّ وَآيَاتِهِ ، بِحَيْثُ حَمَلُوهَا عَلَى مَا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ أَنَّهُ خِلَافُ مُرَادِ اللهَّ وَرَسُولِهِ ، كَمَا فَعَلَ إخْوَانُهُمْ الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَجَحَدُوا الْحَقَائِقَ الْعَقْلِيَّةَ ، كَمَا فَعَلَ إخْوَانُهُمْ السُّوفِسْطَائِيَّة فَجَمَعُوا بَيْنَ السَّفْسَطَةِ فِي الْعَقْلِيَّاتِ ، وَالْقَرَامِطَةِ فِي السَّمْعِيَّاتِ ، فَلِهَذَا انْتُدِبَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَغَيْرُهُمْ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، وَتَقْرِيرِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُّ وَرَسُولُهُ ، وَرَدِّ تَكْذِيبِهِمْ وَتَعْطِيلِهِمْ ، وَذَكَرُوا دَلَائِلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ وَرَدِّ بَاطِلِهِمْ ، وَلَمَّا احْتَجَّ أُولَئِكَ بِشُبَهٍ عَقْلِيَّةٍ ، بَيَّنُوا أَيْضًا لَهُمْ أَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِهِمْ وَصِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ رَبِّك هُوَ الْحَقَّ } ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَنْ نَهَى عَنْ بَيَانِ مَا بَعَثَ اللهُّ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْإِثْبَاتِ ، وَأَمَرَ بِمَا أَحْدَثَ مِنْ النَّفْيِ الَّذِي لَا يُؤْثَرُ عَنْ الرُّسُلِ ، كَانَ قَدْ أَخَذَ مِنْ مُشَاقَّةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ وَمُحَادَّةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ ، وَمُحَارَبَةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ ، بِحَسَبِ مَا سَعَى فِيهِ مِنْ ذَلِكَ ، حَيْثُ أُمِرَ بِتَرْكِ مَا بَعَثَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَبِإِظْهَارِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَى

مُخَالَفَتِهِ .

الْوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ : أَنَّ النَّاسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ هُوَ الْأَصْلُ الْمُتَّبَعُ ، وَالْإِمَامُ الْمُقْتَدَى بِهِ سَوَاءٌ عَلِمُوا مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوهُ ، فَيُؤْمِنُونَ بِلَفْظِ النُّصُوصِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ مَعْنَاهَا ، وَأَمَّا مَا سِوَى كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ أَصْلًا بِحَالٍ ، وَلَا يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِلَفْظٍ لَهُ حَتَّى يُفْهَمَ مَعْنَاهُ فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كَانَ مَقْبُولًا وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا كَانَ مَرْدُودًا ، وَإِنْ كَانَ مُجْمَلًا مُشْتَمِلًا عَلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، لَمْ يَجُزْ إِثْبَاتُهُ أَيْضًا ، وَلَا يَجُوزُ نَفْيُ جَمِيعِ مَعَانِيهِ .

بَلْ يَجِبُ الْمَنْعُ مِنْ إِطْلَاقِ نَفْيِهِ وَإِثْبَاتِهِ ، وَالتَّفْصِيلِ وَالِاسْتِفْسَارِ وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْمُبْتَدَعَةَ الْمُجْمَلَةَ أَصْلًا أُمِرُوا بِهَا وَجَعَلُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فَرْعًا يُعْرَضُ عَنْهَا وَلَا يُتَكَلَّمُ بِهَا وَلَا فِيهَا ، فَكَيْفَ يَكُونُ تَبْدِيلُ الدِّينِ إِلَّا هَكَذَا ؟ ، .

الْوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ : لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ النَّاسِ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ وَيُوجِبَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَحْظُرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا حَظَرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، فَمَنْ وَجَبَ مَا لَمْ يُوجِبْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَحَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَدْ شَرَعَ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ، وَهُوَ مُضَاهٍ لِمَا ذَمَّهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينًا لَمْ يَأْمُرْهُمْ اللهُ بِهِ ، وَحَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْأَعْرَافِ وَبَرَاءَةِ وَغَيْرِهِنَّ مِنْ السُّوَرِ ،

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الْبِدَعِ ، إِحْدَاثُ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَإِلْزَامُ النَّاسِ بِهِ وَإِكْرَاهُهُمْ عَلَيْهِ ، وَالْمُوَالَاةُ عَلَيْهِ وَالْمُعَادَاةُ عَلَى تَرْكِهِ ، كَمَا ابْتَدَعَتْ الْخَوَارِجُ رَأْيَهَا ، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ .

وَابْتَدَعَتْ الرَّافِضَةُ رَأْيَهَا ، وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ ، وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ وَابْتَدَعَتْ الْجَهْمِيَّةُ رَأْيَهَا وَأَلْزَمَتْ النَّاسَ بِهِ وَوَالَتْ وَعَادَتْ عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي دَوْلَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ ، الَّذِينَ اُمْتُحِنَ فِي زَمَنِهِمْ الْأَئِمَّةُ لِتَوَافُقِهِمْ عَلَى رَأْيِ جَهْمٍ الَّذِي مَبْدَؤُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَعَاقَبُوا مَنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا مِنْ الْمُنْكَرَاتِ الْمُحَرَّمَةِ بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ الْعِقَابَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إلَّا عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ ، أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ ، وَلَا يَجُوزُ إكْرَاهُ أَحَدٍ إلَّا عَلَى ذَلِكَ ، وَالْإِيجَابُ وَالتَّحْرِيمُ لَيْسَ إلَّا للهِ وَلِرَسُولِهِ .

فَمَنْ عَاقَبَ عَلَى فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ بِغَيْرِ أَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَعَ ذَلِكَ دِينًا ، فَقَدْ جَعَلَ للهِ نِدًّا وَلِرَسُولِهِ نَظِيرًا بِمَنْزِلَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا للهِ أَنْدَادًا ، أَوْ بِمَنْزِلَةِ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَهُوَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ : { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ } .

وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، لَا يُلْزِمُونَ النَّاسَ بِمَا يَقُولُونَهُ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ ، وَلَا يُكْرِهُونَ أَحَدًا عَلَيْهِ ، وَلِهَذَا لَمَّا اسْتَشَارَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى مُوَطَّئِهِ ، قَالَ لَهُ : لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّقُوا فِي الْأَمْصَارِ ، فَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ عَمَّنْ كَانَ عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّمَا جَمَعْتُ عِلْمَ أَهْلِ بَلَدِي ، أَوْ كَمَا قَالَ : وَقَالَ مَالِكٌ

أَيْضًا : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُصِيبُ وَأُخْطِئُ ، فَاعْرِضُوا قَوْلِي عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : هَذَا رَأْيٌ ، فَمَنْ جَاءَنَا بِرَأْيٍ أَحْسَنَ مِنْهُ قَبِلْنَاهُ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي الْحَائِطَ .

وَقَالَ : إِذَا رَأَيْت الْحُجَّةَ مَوْضُوعَةً عَلَى الطَّرِيقِ فَإِنِّي أَقُولُ بِهَا ، وَقَالَ الْمُزَنِيّ فِي أَوَّلِ مُخْتَصَرِهِ ، هَذَا كِتَابٌ اخْتَصَرْته مِنْ عِلْمِ أَبِي عَبْدِ اللهَّ الشَّافِعِيِّ ، لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ مَذْهَبِهِ .

مَعَ إِعْلَامِيَّةِ نَهْيِهِ عَنْ تَقْلِيدِهِ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : مَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى مَذْهَبِهِ ، وَلَا يُشَدِّدَ عَلَيْهِمْ قَالَ : لَا تُقَلِّدْ دِينَك الرِّجَالَ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْلَمُوا مِنْ أَنْ يَغْلَطُوا .

فَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَهُمْ فِي الْأُصُولِ الْعِلْمِيَّةِ وَفُرُوع الدِّينِ لَا يَسْتَجِيزُونَ إلْزَامَ النَّاسِ بِمَذَاهِبِهِمْ مَعَ اسْتِدْلَالِهِمْ عَلَيْهَا بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَكَيْفَ بِإِلْزَامِ النَّاسِ وَإِكْرَاهِهِمْ عَلَى أَقْوَالٍ لَا تُوجَدُ فِي كِتَابِ اللهَّ ، وَلَا فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا تُؤْثَرُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِابْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْجَهْمِيِّ الَّذِي كَانَ قَاضِي الْقُضَاةِ فِي عَهْدِ الْمُعْتَصِمِ ، لَمَّا دَعَا النَّاسَ إلَى التَّجَهُّمِ ، وَأَنْ يَقُولُوا الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، وَأَكْرَهَهُمْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ ، وَأَمَرَ بِعَزْلِ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ وَقَطَعَ رِزْقَهُ ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فَعَلَهُ فِي مِحْنَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، فَقَالَ لَهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُوَافِقَهُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ

مَخْلُوقٌ .

ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى أُجِيبَكُمْ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ : وَأَنْتَ لَا تَقُولُ إِلَّا بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : هَبْ أَنَّكَ تَأَوَّلْتَ تَأْوِيلًا فَأَنْتَ أَعْلَمُ وَمَا تَأَوَّلْت ، فَكَيْفَ تَسْتَجِيزُ أَنْ تُكْرِهَ النَّاسَ عَلَيْهِ بِالْحَبْسِ وَالضَّرْبِ .

فَبَيَّنَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَا تَجُوزُ إِلَّا عَلَى تَرْكِ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ ، أَوْ فِعْلِ مَا حَرَّمَهُ اللهُ فَإِذَا كَانَ الْقَوْلُ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَقُولُوهُ ؛ لِأَنَّ الْإِيجَابَ إِنَّمَا يُتَلَقَّى مِنْ الشَّارِعِ ، وَإِنْ كَانَ لِلْقَوْلِ فِي نَفْسِهِ حَقًّا ، أَوْ اعْتَقَدَ قَائِلُهُ أَنَّهُ حَقٌّ ، فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا مَا لَمْ يُلْزِمْهُمْ الرَّسُولُ أَنْ يَقُولُوهُ لَا نَصًّا وَلَا اسْتِنْبَاطًا ، وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُ الْقَائِلِ : الْمَطْلُوبُ مِنْ فُلَانٍ أَنْ يَعْتَقِدَ كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِكَذَا وَكَذَا ، إِيجَابٌ عَلَيْهِ لِهَذَا الِاعْتِقَادِ ، وَتَحْرِيمٌ عَلَيْهِ لِهَذَا الْفِعْلِ .

وَإِذَا كَانُوا لَا يَرَوْنَ خُرُوجَهُ مِنْ السِّجْنِ إِلَّا بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَدْ اسْتَحَلُّوا عُقُوبَتَهُ وَحَبْسَهُ حَتَّى يُطِيعَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَا أَمَرُوا بِهِ قَدْ أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَمَا نَهَوْا عَنْهُ قَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، كَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ ذُكِرَ مِنْ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْجَهْمِيَّةِ الْمُشَابِهِينَ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ بِحَالٍ ، وَهُمْ أَيْضًا يُبَيِّنُوا أَنَّهُ يُوجَدُ فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَوْ كَانَ هَذَا مَوْجُودًا فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَكَانَ عَلَيْهِمْ بَيَانُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعُقُوبَاتِ لَا تَجُوزُ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } فَإِذَا لَمْ يُقِيمُوا حُجَّةَ اللهِ الَّتِي يُعَاقَبُ مَنْ خَالَفَهَا ، بَلْ لَا يُوجَدُ مَا ذَكَرُوهُ فِي حُجَّةِ اللهِ وَقَدْ نُهُوا عَنْ تَبْلِيغِ حُجَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ مُمَاثَلَةً لِمَا ذُكِرَ مِنْ حَالِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ الْمُضَاهِينَ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

الْوَجْهُ الْخَامِسَ عَشَرَ : أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي قَالُوهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَقًّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَمْ يَجُزْ الْإِلْزَامُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ ، فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ دَلَالَتِهِ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ لَا تَجُوزُ قَبْلَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ مِمَّا أَظْهَرَهُ الرَّسُولُ وَبَيَّنَهُ ، فَقَدْ قَامَتْ الْحُجَّةُ بِبَيَانِ رَسُولِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ حُجَّتِهِ وَإِظْهَارِهَا الَّتِي يَجِبُ مُوَافَقَتُهَا وَيَحْرُمُ مُخَالَفَتُهَا ، وَلِهَذَا قَالَ الْفُقَهَاءُ فِي أَهْلِ الْبَغْيِ الْمُتَأَوِّلِينَ : إنْ ذَكَرُوا مَظْلَمَةً أَزَالَهَا الْإِمَامُ ، وَإِنْ ذَكَرُوا شُبْهَةً بَيَّنُوهَا لَهُ فَإِذَا لَمْ يُبَيِّنُوا صَوَابَ الْقَوْلِ أَصْلًا بَلْ ادَّعَوْهُ دَعْوَى مُجَرَّدَةً حُورِبُوا .

فَكَيْفَ يَجِبُ الْتِزَامُ مِثْلِ ذَلِكَ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ، وَهَلْ يَفْعَلُ هَذَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ أَوْ دِينٌ ؟ ، .

الْوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ : أَنَّهُمْ لَوْ بَيَّنُوا صَوَابَ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ الْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوجِبًا لِعُقُوبَةِ تَارِكِهِ ، فَلَيْسَ كُلُّ مَسْأَلَةٍ فِيهَا نِزَاعٌ إذَا أَقَامَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ الْحُجَّةَ عَلَى صَوَابِ قَوْلِهِ مِمَّا يُسِيغُ لَهُ عُقُوبَةَ مُخَالِفَةِ ، بَلْ عَامَّةُ الْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَنَازِعَيْنِ أَنْ يُعَاقِبَ الْآخَرَ عَلَى تَرْكِ اتِّبَاعِ قَوْلِهِ .

فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يَذْكُرُوا حُجَّةً أَصْلًا وَلَمْ يُظْهِرُوا صَوَابَ قَوْلِهِمْ .

الْوَجْهُ السَّابِعَ عَشَرَ : أَنَّهُ لَوْ فُرِضَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي أَلْزَمُوا بِهِ حَقٌّ وَصَوَابٌ قَدْ ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ ، وَوَجَبَتْ عُقُوبَةُ تَارِكِ الْتِزَامِهِ ، فَهَذَا لَمْ يَذْكُرُوهُ إِلَّا فِي هَذَا الْوَقْتِ ، بَعْدَ هَذَا الطَّلَبِ وَالْحَبْسِ وَالنِّدَاءِ عَلَى الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ بِالْمَنْعِ مِنْ مُوَافَقَتِهِ ، وَنِسْبَتِهِ إِلَى الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ ، وَمُخَالَفَةِ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ ، وَخُرُوجِهِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ إِلَى أَنْوَاعٍ أُخَرَ مِمَّا قَالُوهُ وَفَعَلُوهُ فِي حَقِّهِ ، مِنْ الْإِيذَاءِ وَالْعُقُوبَةِ وَالضَّرَرِ زَاعِمِينَ أَنَّ مَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ الْفَتَاوَى وَالْكُتُبِ يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَلَمْ يُبَيِّنُوا فِي كَلَامِهِ الْمُتَقَدِّمِ شَيْئًا مِنْ الْخَطَإِ وَالضَّلَالِ الْمُوجِبِ لِلْعُقُوبَةِ ، لَمْ يَكُنْ ابْتِدَاؤُهُمْ بِالدُّعَاءِ إِلَى مَقَالَةٍ إِنْشَاؤُهَا مُبِيحًا لِمَا فَعَلُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ ، وَالتَّبْدِيلِ لِدِينِ اللهَّ ، وَإِنَّمَا هَذَا انْتِقَالٌ مِنْ ظُلْمٍ إِلَى ظُلْمٍ ؛ لِيُقَرِّرُوا بِالظُّلْمِ الْمُتَأَخِّرِ حُسْنَ الظُّلْمِ الْمُتَقَدِّمِ .

كَمَنْ يَسْتَجِيرُ مِنْ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ ، وَهَذَا يَزِيدُهُمْ إِثْمًا وَعَذَابًا ، فَهَبْ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ وَافَقَهُمْ الْآنَ عَلَى مَا أَنْشَأَهُ مِنْ الْقَوْلِ ، أَيُّ شَيْءٍ فِي ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى خَطَئِهِ وَضَلَالِهِ فِي أَقْوَالِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ إِذَا لَمْ تُنَافِ هَذَا الْقَوْلَ ؟ دَعْ اسْتِحْقَاقَ الْعُقُوبَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ ، فَمَا لَمْ يُبَيِّنُوا أَنَّ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ قَبْلَ طَلَبِهِ وَحَبْسِهِ وَإِعْلَامِ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يُوجِبُ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ هَذَا وَهُمْ قَدْ عَجَزُوا عَنْ إِبْدَاءِ خَطَأٍ أَوْ ضَلَالٍ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ الْمَقَالِ ، وَهُمْ دَائِمًا يَسْتَعْفُونَ مِنْ الْمُحَاقَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ بِلَفْظٍ أَوْ خَطٍّ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُمْ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً : مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا فَلْيَكْتُبْ مَا يُنْكِرُهُ بِخَطِّهِ ،

وَيَذْكُرُ حُجَّتَهُ ، وَيَكْتُبُ جَوَابَهُ ، وَيُعْرَضُ الْأَمْرَانِ عَلَى عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأُبْلِسُوا وَبُهِتُوا وَطُلِبَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ الْمُخَاطَبَةُ فِي الْمُحَاضَرَةِ ، وَالْمُحَاقَّةِ وَالْمُنَاظَرَةِ ، فَظَهَرَ مِنْهُمْ مِنْ الْعِيِّ فِي الْخِطَابِ ، وَالنُّكُوصِ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَالْعَجْزِ عَنْ الْجَوَابِ مَا قَدْ اُشْتُهِرَ وَاسْتَفَاضَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَالْأَعْرَابِ .

وَمِنْ قُضَاتِهِمْ الْفُضَلَاءِ مَنْ كَتَبَ اعْتِرَاضًا عَلَى الْفُتْيَا الْحَمَوِيَّةِ، وَضَمَّنَهُ أَنْوَاعًا مِنْ الْكَذِبِ وَأُمُورًا لَا تَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الْمُعْتَرَضِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَتَبْت جَوَابَهُ فِي مُجَلَّدَاتٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ شَيْئًا ثُمَّ خَبَّأَهُ وَطَوَاهُ عَنْ الْأَبْصَارِ .

وَخَافَ مِنْ نَشْرِهِ ظُهُورَ الْعَارِ ، وَخِزْيَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالصَّغَارِ ، إذْ مَدَارُ الْقَوْمِ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ : إمَّا الْكَذِبُ الصَّرِيحُ ، وَإِمَّا الِاعْتِقَادُ الْقَبِيحُ .

فَهُمْ لَنْ يَخْلُوا مِنْ كَذِبٍ كَذَبَهُ بَعْضُهُمْ وَافْتَرَاهُ ، وَظَنٍّ بَاطِلٍ خَابَ مَنْ تَقَلَّدَهُ وَتَلَقَّاهُ .

وَهَذِهِ حَالُ سَائِرِ الْمُبْطِلِينَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.

اهـ

فصل
ذكر بعض آيات الصفات من القرآن

معلوم عند القاصي والداني أن القرآن يقرأوه المسلمون في صلواتهم وفي مساجدهم، ويسمعونه في طرقهم وفي بيوتهم إلى غير ذلك، وهذه السور والآيات تتضمن أسماء وصفات، ومن أكثر السور قراءة سورة الفاتحة وسورة الإخلاص وآية الكرسي، وكل هذه تتضمن أسماء وصفات.

قال الله عز وجل: ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ﴾[الفاتحة:١-٧].

فهذه السورة ذكر فيها اسم:

١- الله مرتين.

٢- الرحمن مرتين.

٣- الرحيم مرتين.

٤- مالك يوم الدين مرة.

٥- رب العالمين مرة.

ومالك يوم الدين ورب العالمين تعتبر من الأسماء المركبة وهي من الأسماء الحسنى ويجوز الدعاء بها بالإجماع نقل ذلك شيخ الإسلام بن تيمية.

واسم (الله) يتضمن صفة الألوهية.

واسم (الرحمن) يتضمن صفة الرحمة.

وكذلك اسم (الرحيم) وهكذا دواليك.

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱ ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ث ث ث ث ث ث ﴾[الإخلاص:١-٤].

هذه السورة قد جاءت الأحاديث في فضلها وشرفها، وأنها: «تعدل ثلث القرآن» كما في حديث أبي الدرداء عند مسلم (٨١١) وحديث أبي هريرة عنده أيضاً (٨١٢)، وفي حديث عائش في الصحيحين دلالة واضحة على أن هذه السورة وصف للرحمن سبحانه وتعالى، قالت عائشة رضي الله عنها: بعث رسول الله رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله : «أخبروه أن الله يحبه»(١).

وكون هذه السورة ثلث القرآن؛ لأن القرآن أحكام وأخبار وتوحيد، قال ابن القيم رحمه الله تعلى في «بدائع الفوائد»(٢): فإن هاتين السورتين(٣) سورتا

---

(١) البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٧١٣).

(٢) (١/ ٢٤٣) طبعة عالم الفوائد.

(٣) سورة الكافرون، سورة الإخلاص.

الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله أحد صمد، لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل، ولم يكن له كفواً أحد يكون له نظير، ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها، فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ونفي ما لا يليق به من الشرك أصلاً وفرعاً، ونظيراً اهـ.

وصفات الله عز وجيل تنقسم إلى صفات ثبوتية مثل صفة الرحمة والرضى والحب واليد والوجه، وصفات منفية وهي متضمنة لكمال الضد مثل الذي لا يموت، لكمال حياته سبحانه وتعالى، لم يلد، لكمال قيوميته وغير ذلك.

وهذه السورة جمعت الصفات الثبوتية والصفات المنفية إلى غير ذلك من أحكامها وما فيها، فتضمنت من الأسماء (الله) وذكر اسم الله فيها مرتين، وهو يتضمن صف الإلوهية.

﴿أحد﴾ وهذا الاسم يتضمن صفة الأحدية.

﴿الصمد﴾ وهذا الاسم يتضمن صفة الصمدية.

والصمد هو السيد الذي كمل في سؤدده أو الذي تصمد إليه الخلائق، أو الذي لا جوف له لقيوميته سبحانه وغناه وغير ذلك من صفات كماله، ودلت على نفي الوالد والولد الذي إنما يحتاج إليه المربوب الناقص لا الخالق الكامل.

وأيضاً آية الكرسي قال الله فيها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ

وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقد دلت الأحاديث على أن هذه أعظم آية في القرآن، فتضمنت هذه الآية عدة من الأسماء الحسنى والصفات العلى إليك ها:

قال عبد العزيز السلمان في «الكواشف الجلية» (ص١٢٣، ١٢٤): ما يؤخذ من آية الكرسي:

١- إثبات الألوهية.

٢- انفراده بالألوهية.

٣- إثبات صفة الحياة.

٤- إثبات صفة القيومية.

٥- تنزيه الله عن السِّنة.

٦- تنزيه الله عن النوم.

٧- تنزيه الله عن العجز لما في ذلك من المنافات لكمال حياته وقيوميته وقدرته.

٨- إثبات سعة ملكه وأنه تعالى له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وليس له في ذلك شريك ولا منازع، وأن الجميع عبيده وتحت قهره

وسلطانه.

٩- إثبات سعة علمه وأنه محيط بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها، ومستقبلها، وأنه لا يغفل ولا ينسى ولا يلهيه شأن عن شأن.

١٠- اختصاصه بالتعليم، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما علمهم جل وعلا.

١١- إثبات صفة الكلام.

١٢- إثبات صفة العلم.

١٣- إثبات عظمة الله وقدرته، وأنه لا يعجزه شيء.

١٤- إثبات المشيئة لله.

١٥- إثبات القوة لله اهـ مختصرً.

هذه ثلاث مواضع من القرآن سقتها وغيرها كثير وكثير، ثم بعد ذلك يقول قائل: لا يحدث بآيات وأحاديث الصفات بين العوام مع أنه لا يخرج هذا القول إلا من عنده شبهة، وإلا فيجب على العوام أن يعتقدوا المعتقد الصحيح في باب الأسماء والصفات وغيرها من أبواب الدين فبمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى يعرف الله عز وجل، وكلما قويت المعرفة لدى الشخص كلما زادت عبادته وخشيته، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨].

ونسوق بعض الآيات التي فيها إثبات صفات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨]، إثبات صفة الوجه لله وجهاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، إثبات صفة اليدين لله عز وجل، يدان حقيقيتان تليق بجلال الله عز وجل، ليست كيد المخلوقين المربوبين، وليست بمعنى القدرة أو القوة كما يقول المعتزلة.

وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلى:١]، إثبات صفة العلو لله عز وجل علو القدرة والقهر وعلو الذات وأنه على العرش استوى، أي علا، وارتفع، وصعد، والعرش في السماء وهو سقف الفردوس، وهو أعلى المخلوقات، وعلو الله عز وجل على عرشه، واستوائه يليق بجلاله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾[القلم:٤٢]، دل عليه أيضاً حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم: «فيكشف الجبار عن ساقه» ساق يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]. لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ﴾[الأعراف:١٥٦]، إثبات صفة الرحمة لله عز وجل على ما يليق بجلاله.

وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾[المائدة:١١٩]، إثبات صفة الرضا لله عز وجل، رضاً حقيقي على ما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وليس هو بالثواب كما يقول المعتزلة، أو إرادة الثواب كما يقول الأشاعرة.

وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفتح:٦]، إثبات صفة الغضب لله عز

وجل غضب حقيقي يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وليس هو الانتقام ولا إرادة الانتقام فإن الله يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥]، أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم، ولا يصلح فلما انتقمنا منهم انتقمنا منهم.

وقال تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ إثبات صفتي السمع والبصر لله عز وجل، وأنه يسمع بسمع وبصير ببصر، قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ وهكذا كل اسم يتضمن صفة حقيقية تليق بالله عز وجل، فليستحي على نفسه من يقول لا يحدث بآيات وأحاديث الصفات بين العوام.

فصل

ذكر بعض أحاديث الصفات، وتحديث النبي بها

وأما الأحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة جداً، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- حديث معاوية بن الحكم السلمي عند مسلم (٥٣٧): أن رسول الله قال للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة».

٢- وفي حديث جابر في حجة الوداع التي حضرها مائة ألف من المسلمين أو قريب من ذلك، وفيهم من هو من أعراب المسلمين، ومن هو حديث عهد بالإسلام وفيه: بعد ذكر الحديث قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت فقال بإصبعة السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم أشهد، اللهم أشد» ثلاث مرات أخرجه مسلم (١٢١٨) والعلماء يستدلون بهذين الحديثين على إثبات صفة العلو لله عز وجل، وأخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني

فاستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فاغفر له».

ففي الحديث إثبات صفة النزول لله عز وجل نزولاً حقيقي يليق بجلاله، وإثبات صفة الكلام له سبحانه وتعالى، ومما يدل على أن النزول حقيقي قوله: «من يدعوني فاستجيب له»، فمن قال بنزول الملك، الملك مخلوق مربوب لا يغفر، وإنما الذي يجيب ويغفر هو الله عز وجل قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢]، وليس النازل أمره، فأوامره عز وجل نازلة في كل حين ووقت.

وأخرج مسلم من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله : «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل».

في الحديث إثبات صفة اليد لله عز وجل يد حقيقية تليق بجلاله وكماله، وإثبات صفة البسط بالليل والنهار.

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة، يقتل هذا في سبيل الله ثم يتوب على القاتل فيسلم، ويستشهد» متفق عليه.

في الحديث إثبات صفة الضحك لله عز وجل على ما يليق به، وقد ثبت هذه الصفة في غير ما حديث فلا يجوز أن يفسر الضحك بالثواب أو إرادة الثواب على ما تقدم مراراً.

وفي الحديث الطويل في قصة الأنصاري الذي أضاف ضيف رسول الله

ﷺ : «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما البارحة» متفق عليه وفي قراءة: ﴿بَلْ عَجِبْتَّ وَيَسْخَرُونَ﴾، عجب يليق بجلاله ليس بسبب خفاء الأسباب، فالله عز وجل بكل شيء عليم، ولكن عجب بخروج الشيء عن نظائره.

وفي حديث جابر عند البخاري (٤٦٢٨) قال رسول الله ﷺ : «قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾[الأنعام:٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ...»الحديث.

وفي الحديث إثبات صفة الوجه لله عز وجل على ما تقدم بيانه.

وهذه أمثلة يعرف بها المراد مما بعدها.

فكل آية أو حديث محتج به فيه وصف لله عز وجل يمر على ما جاء لا يتعرض له بالتحريف ولا بالتأويل ولا بالتعطيل ولا بالتكيف ولا بالتمثيل.

بل يثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ على مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ والمعاني معروفة، وقد تقدم أن آيات وأحاديث الصفات من باب المحكم لا المتشابه.

وإن وقعت في التشابه النسبي فارجع إلى أهل العلم، فالله عز وجل يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٧٦].

الدليل على الإشارة عند من يفهم

١- أخرج أبو داود (١٣/ ٣٧) فيما رواه أبو يونس سليم بن جابر، عن أبي هريرة حين قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[النساء:٥٨]، قال: رأيت رسول الله يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله يقرؤها ويضع إصبعيه. قال المقرئ: يعني، يعني إن الله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية.

قل الإمام الوادعي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

٢- وعند احمد (٣/ ١٢٥) عن ثابت البناني أبي محمد، عن أنس، عن النبي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣] قال: هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر، فقال له حميد الطويل: ما تُريد من هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ثم تقول أنت ماذا تريد إليه.

وأخرج الحديث الترمذي (٨/ ٤٥١) من طريق حماد عن ثابت، عن أنس أن النبي قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾[الأعراف:١٤٣].

قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أُنْمُلة إصبعه اليمنى قال: فانساخ الجبل، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

قال الإمام الوادعي في «الصحيح المسند» (٩٦): هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وأخرج البخاري (٧٤٠٧) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: وذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: «إِنَّ اللهَّ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّ اللهَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وفي مسلم من حديث عبد الله عمر رضي الله عنهما يحكي عن رسول الله ﷺ قال: «يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضه بيديه فيقول: أنا الله- ويقبض أصابعه ويبسطها- أنا الملك» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ .

وذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»تحت باب رقم (٩) باب وكان الله سمعياً وبصيراً من كتاب التوحيد لعقبة بن عامر ﷺ حديثاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «إن ربنا سمع بصير» وأشار إلى عينيه، قال: وسنده حسن.

قال ابن عثيمين في شرح صحيح البخاري(١/ ٣٤١-٣٤٢):

ينبغي للإنسان أن يراعي حالة من يلقي إليه العلم فإذا كان يخشى أن يفهم الملقي إليه العلم الشيء على خلافه فلا يلقه إليه لأن درأ خير من جلب

المصالح.

ولهذا قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون ومراده بما يمكنهم معرفته وليس المراد بما سبق لهم به المعرفة لأن ما سبق لهم به المعرفة لا يحتاجون إلى التحديث به فحدثوهم بما يمكنهم أن يعرفوه فأما مالا يمكنهم أن يعرفوه فلا تحدثوهم وعلل ذلك رضي الله عنه بقوله : أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

وعند العامة الآن أنك إذا أتيتهم بقول لا يعرفونه وإن كان من كتاب الله وسنة رسولهﷺ قالوا هذا دين جديد. ولا يقبلونه.

لكن هل يعني ذلك أن لا نقول الحق ؟

الجواب: لا. بل نقول الحق ولكن نتحين وقتاً يكون فيه قبول الناس للحق على وجه صحيح وذلك بأن نأتيهم من أسفل الدرجة إلى الأعلى .

وما يفعله بعض أخواننا الآن إذا أرادوا أن يحققوا مسألة من صفات الله أو صفه من صفات الله جعلوا يشيرون بأيديهم فيقولون مثلاً:الله سبحانه وتعالى يجعل السماء على أصبع والأرضيين على أصبع . ثم يذكر الخمسة أصابع التي وردت في حديث أبن مسعود ثم يقول بيديه هكذا.

هذا حرام إذ من قال لك : أن أصابع الله مثل أصابعك؟

ثم إنك إذا ذكرت للعامة مثل هذا فإن أفكارهم سوف تنصب على التمثيل لأن العامي لا يفهم.

فإن قيل أليس النبيﷺ أشار إلى عينيه وأذنه حين قرأ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا

بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨] ؟

فالجواب أن نقول: هناك فرق بين ما فعلت وبين ما فعل الرسول ﷺ وهناك فرق بين من ينظرون إلى الرسول ﷺ ومن ينظرون إليك.

فالواجب على الإنسان أن يراعي أحوال المخاطب وأن لا يخاطبه بما لا يمكنه إدراكه فيقع فيما خافه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين قال: أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

قال ابن عثيمين رحمه الله كما في «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٣٢) حديث رقم (٧٤٠٧): قوله: «وأشار بيده إلى عينه» المشير هو رسول الله .

وبهذا يسقط ويبطل قول من قال: إن المراد بالعور العيب؛ لأن بعض المحرفين الذين أصروا على أن تكون أعين الله كثيرة قالوا: المراد بالعور العيب والمعنى أن الدجال أعور –أي معيب وليس المراد عور العين، ولكننا ندمغهم دمغاً يزهق به الباطل حين أشار النبي إلى عينه.

والرسول أعلم منا بالله، أشار بيده إلى عينه اهـ.

وقال رحمه في «شرح الواسطية» (ص١٧٣): فإن قلت: هل لي أن أفعل كما فعل الرسول ، أي الإشارة عند التحديث بالصفة، قال: فالجواب من العلماء من قال نعم افعل كما فعل الرسول لستَّ أهد للخلق من رسول الله ، ولست أشد تحرزاً من أن يضاف إلى الله ما لا يليق به من الرسول .

ومنهم من قال: لا حاجة أن تفعل ما دمنا نعلم أن المقصود هـو التحقيـق، فهذه الإشارة إذاً غير مقصودة لغيرها.

وحينئذٍ لا حاجة إلى أن تشير لا سيما إذا كان يُخشى من هذه الإشارة تـوهم الإنسان التمثيل كما لو كان أمامك عامة من الخلق لا يفهمـون الـشيء عـلى مـا ينبغي، فهذا ينبغي التحرز منه ولكل مقام مقال اهـ.

المذاهب والمشارب في الأسماء والصفات

أولاً: مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات:

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (٥/ ١٩٥): " ومذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفى صفات الله تعالى التى وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله " اهـ.

ثانياً: مذهب أهل البدع في الأسماء والصفات:

١ - مذهب الجهمية أتباع جهم بن صفوان لا يثبتون الأسماء ولا الصفات

قال شيخ الإسلام في التدمرية: وأعلم أن الجهمية المحضة كالقرامطة ومن ضاهاهم : ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولون ليس بموجود ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع في بدائه العقول كالجمع بين النقيضين وآخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا بصير وهؤلاء أعظم كفرا من أولئك من وجه وأولئك أعظم كفرا من هؤلاء من

وجه.اهـ

وقال رحمه الله تعالى(١٤)

وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والـذين أوتـوا الكتـاب ومن دخل في هـؤلاء مـن الـصابئة المتفلـسفة والجهميـة والقرامطـة والباطنيـة ونحوهم : فإنهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجـه التفـصيل ولا يثبتون إلا وجود مطلقا لا حقيقة في الأعيان فقولهم يستلزم غايـة التعطيـل وغاية التمثيل فـإنهم يمثلونـه بالممتعـات والمعـدومات والجـمادات ويعطلـون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات

فلأنهم يسبلون عنه النقيضين فيقولـون : لا موجـود ولا معـدوم ولا حـي ولا ميـت ولا عـالم ولا جاهـل لأنهـم يزعمـون أنهـم إذا وصـفوه بالإثبات شـبهوه بـالموجودات وإذا وصـفوه بـالنفي شـبهوه بالمعـدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداهة العقـول وحرفـوا مـا أنـزل الله مـن الكتاب وما جاء به الرسول فوقعـوا في شر ممـا فـروا منـه فـإنهم يـشبهونه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات

وقد علم بالاضطرار : أن الوجود لا بـد مـن موجـود واجـب بذاتـه غني عما سواه قديم أزلي لا يجوز عليـه الحـدوث ولا العـدم فوصـفوه بـما يمتنع وجود ه فضلا عن الوجوب أو الوجود أو القدم

وقـاربهم طائفـة مـن الفلاسـفة وأتبـاعهم فوصـفوه بالـسلوب والإضافات دون صفات الإثبـات وجعلـوه هـو الوجـود المطلـق بـشرط

الإطلاق وقد علم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة للقضايا البديهيات وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدا للعلوم الضروريات وقاربهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم فأثبتوا لله الأسماء د ون ماتتضمنه من الصفات – فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدير سميع بصير بلا سمع ولا بصر فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات

والكلام على فساد مقالة هؤلاء وبيان تناقضها بصريح المعقول المطابق لصحيح المنقول : مذكور على غير هذه الكلمات.

انتهى

٢- مذهب المعتزلة: يثبتون الأسماء مجردة عن الصفات أي أعلام لا معاني لها.

٣- مذهب الأشاعرة: يثبتون الأسماء وسبع صفات، وهي المذكورة في هذا البيت :حي مريد قادرة علام= له السمع والبصر والكلام.

٤- مذهب المفوضة: الذي هو مذهب التجهيل.

قال ابن القيم رحمه الله في الصواعق (١/ ٤٢٢):والصنف الثالث أصحاب التجهيل الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ولكن نقرأها ألفاظا لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة :(كهيعص) و (حم عسق) و (المص) فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلا ولا تشبيها ولم نعرف معناه وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يفهمون معنى قوله : (لما خلقت بيدي) ص٧٥ وقوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الزمر٦٧

وبنوا هذا المذهب على أصلين :

أحدهما أن هذه النصوص من المتشابه

والثاني أن للمتشابه تأويلا لا يعلمه إلا الله فنتج من هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأنهم كانوا يقرأون : (الرحمن على العرش استوى) طه٥ و(بل يداه مبسوطتان) المائدة٦٤

ويروون ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به ولازم قولهم إن الرسول كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ثم تناقضوا أقبح

تناقض فقالوا تجري على ظواهرها وتأويلها مما يخالف الظواهر باطل ومع ذلك فلها تأويل لا يعمله إلا الله فكيف.

يثبتون لها تأويلا ويقولون تجر على ظواهرها ويقولون الظاهر منها غير مراد والرب منفرد بعلم تأويلها وهل في التناقض أقبح من هذا

وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله فأخطئوا في المقدمات الثلاث واضطرهم إلى هذا التخلص من تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين وسدوا على نفوسهم الباب وقالوا لا نرضى بالخطأ ولا وصول لنا إلى الصواب فهؤلاء تركوا التدبر المأمور به والتذكر والعقل لمعاني النصوص الذي هو أساس الإيمان وعمود اليقين وأعرضوا عنه بقلوبهم وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها

فأولئك جعلوها عرضة للتأويل والتحريف كما جعلها أصحاب التخييل أمثالا لا حقيقة لها.انتهى

٥- أصحاب التشبيه والتمثيل ففهموا منها مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك وقالوا محال أن يخاطبنا الله سبحانه بما لا نعقله ثم يقول : (لعلكم تعقلون) البقرة٧٣ (لعلكم تتفكرون) البقرة٢١٩ (ليدبروا آياته) ص٢٩

ونظائر ذلك وهؤلاء هم المشبهة

فهذه الفرق لا تزال تبدع بعضهم بعضا وتضلله وتجهله وقد تصادمت كما ترى فهم كزمرة من العميان تلاقوا فتصادموا كما قال أعمى البصر والبصيرة منهم :

ونظيري في العلم مثلي أعمى= فترانا في حندس نتصادم

وهدى الله أصحاب سواء السبيل للطريقة المثلى

فلم يتلوثوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهبا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين خرج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وقالوا نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجهل ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة ولا استوى على عرشه ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجوههم وسمع وبصر وحياة وقدرة واستوى كأسماعهم وأبصارهم وقدرتهم واستوائهم بل نقول له ذات حقيقة ليست كالذوات وله صفات حقيقة لا مجازا ليست كصفات المخلوقين وكذلك قولنا في وجهه تبارك وتعالى ويديه وسمعه وبصره وكلامه واستوائه.انتهى

الفصل الثاني

القواعد الحسان لمعرفة صفات الرحمن

١ - **القاعدة الأولى**: الله عز وجل موصف بما وصف به نفسه في كتابه الكريم وما صح عن نبيه محمد الصادقين الأمين، وبيان ذلك أن أسماء الله عز وجل توقيفي يُتوقف في أثبتها على الكتاب والسنة الصحيحة؛ لأنه لا يعرف كيف الله إلا الله عز وجل، وقد أوحى الله عز وجل بذلك إلى محمد ، وقد تقدم شيء من ذلك.

والدليل على هذه القادة: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

٢ - **القاعدة الثانية**: يجب على جميع المسلمين أن ينقادوا للكتاب والسنة، ولا سيما في هذا الباب، فما أثبته الله عز وجل ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله عز وجل ورسوله نفيناه، والدليل قوله الله عز وجل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[آل عمران:١٣٢]. ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧].

ومثال الإثبات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[النساء:٥٨]. فنثبت لله عز وجل السمع والبصر.

ومثال النفي: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة:٢٥٥]، فينزه الله عز وجل عن النوم، ومقدماته لكمال قيوميته عز وجل؛ ولأنه نفى ذلك عن نفسه. وهنا تنبيه يعرف بالقاعدة الثالثة.

٣- **القاعدة الثالثة**: عند الإثبات والنفي يجب التخلي من محاذير تجر إلى الباطل والضلال وتجر إلى الزيغ والانحراف.

أولاً: عند الإثبات: الحذر كل الحذر من التكييف والتمثيل، والتكييف: أن تتخيل لصفة الله عز وجل كيفية وهيئة، فإن اقترن هذا التكيف بشيء موجود كان تمثيلاً، وإن لم يقترن كان تكيفاً، والتكييف والتمثيل من أعظم الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فالله يقول: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص:٤] ويقول: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾[مريم:٦٥] ويقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى:١١].

وفي أثر نعيم بن حماد شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه كفر".

ويجب أن نؤمن أن لصفات الله عز وجل كيفية وحقيقة لكننا نجهلها؛ لأنها لا تعلم كيفية الشيء إلا بالنظر إليه أو إلى مثيله، أو يحدثك من رآه عنه، وكل هذه منتفية في حق الله تعالى.

وعند التنزيه يجب التخلي من محذورين: الأول التعطيل، والثاني:

التحريف ، والتعطيل في اللغة: هو التفريغ وفي الاصطلاح: هو تعطيل الله عز وجل من معاني الصفات. والتحريف: هو الميل، وفي الاصطلاح: يكون التحريف إما بتغيير اللفظ بزيادة أو نقصان أو بهما أو تغيير المعنى.

ومن هذه الأمثلة المحذورة قول القائل: يد الله كيدي، فهذا باطل وكفر، أو قوله: يد الله عز وجل كذا وكذا على كيفية ليست كالمخلوقات نقول: وهذا باطل، وكفر وحرام؛ لأنك تقول على الله ما لا تعلم.

ومن أمثلتها في باب التحريف والتعطيل أن يقول القائل: يد الله، هي نعمته، نقول: هذا باطل وحرام وكفر؛ لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره الذي أرداه الله عز وجل، وهو إثبات اليد لله سبحانه يداً تليق بجلاله لا تماثل صفات المخلوقين؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

٤- **القاعدة الرابعة**: كل اسم من أسماء الله عز وجل يتضمن صفة: كقول الله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨]، فاسم الحي يتضمن صفة الحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، وكقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ يتضمن اسم السميع صفة السمع واسم العليم صفة العلم؛ لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، ولهذا كانت حسنى تدل على الذات وتدل على الوصف.

٥- **القاعدة الخامسة**: كل فعل إضافة لله عز وجل إلى نفسه يشتق منه صفة كقوله: ﴿قال الله يا عيسى﴾، وكقوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

فنثبت لله صفة الكلام كما يليق بجلاله وكقول النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخر» الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ، فنثبت لله عز وجل صفة النزول كما يليق بجلاله.

٦- **القاعدة السادسة**: ما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بغيرها كالوجه والعين والكلام واليد وغير ذلك، فهو إضافة صفة إلى موصوف، وما أضيف إلى الله عز وجل من المعاني التي تقوم بنفسها فإضافتها إلى الله إضافة خلق أو ملك كناقة الله عز وجل.

٧- **القاعدة السابعة**: كل دليل يدل على وصف الله عز وجل فإنه يبقى على ظاهره المتبادر للسان العربي، والفطرة السليمة المستقيمة ولا يجوز تحريفه؛ لأن هذا من الإلحاد الذي حرمه الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨١].

ومعلوم: أن الله عز وجل أنزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٥] فصرف اللفظ من المعاني الحقة إلى معاني باطلة يعتبر جناية على القرآن وعلى رب العالمين.

٨- **القاعدة الثامنة**: لِيُعلم أن المتصف بالصفات أكمل من الذين لا صفات له، فلا يعقل أن يكون المخلوق المربوب الضعيف المحتاج يسمع ويبصر ويعلم ويقدر، والله عز وجل معطل عن ذلك، بل يثبت

لله عز وجل الكمال اللائق به مما أثبته لنفسه وما أثبته لـه رسـوله صـلى الله عليه وسلم.

٩- **القاعدة التاسعة**: لسنا أحرص من السلف رضوان الله عليهم، فهم قد أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وما أثبتـه لـه رسـوله مـن غـير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيـل، فـلا يلـبس علينـا شـياطين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، والقرامطة والفلاسفة بشبه أوهـى مـن خيط العنكبوت "وكل خير في اتباع من سلف".

١٠- **القاعدة العاشرة**: طريقة السلف أعلم وأحكم، فالسير عليها في جميع جوانب الحياة فما من خـير إلا وسـبقونا إلـه، ومـا مـن شر وضـير إلا وحذرونا منه، وقديماً قيل: عليك بآثار السلف وإن كرهك الناس.

١١- **القاعدة الحادية عشرة**: الله عز وجل أنزل القـرآن وذكـر فيـه صـفاته وأسمائه وذكر فيه الأحكام وغير ذلك، وكـل هـذه الآيـات تُـتلى عـلى العالم والجاهل والذكر والأنثى، فليبلـغ ديـن الله الحـق وخـصوصا في هذا الباب.

١٢- **القاعـدة الثانيـة عـشرة**: أن القـول في بعـض الـصفات كـالقول في الصفات الأخرى، وهذه القاعدة رد على الأشـاعرة الـذين يثبتـون لله عز وجل سبع صفات وهـي: حـيٌ، مريـدٌ، قـادرٌ، عـلام لـه الـسمع والبصر والكلام، زاعمين أن هذه دل عليها العقل، فيلزمهم أن يثبتـوا

لله عز وجل هذه الصفات التي دل عليها الشرع والعقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح والعقل يعتبر في هذا الباب منقاداً لا قائداً.

ومعلوم أن ما عارض الشرع من موازين العقل فهو إما قياس فاسد أو خيال بارد، ويدل على تقرير مذهب السلف عدة أمور:

أولاً: أن باب الأسماء والصفات يدخل في نطاق علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله أو من علمه فالعقل لا يدرك الغيب فلا يدرك الأسماء والصفات على وجه التفصيل.

ثانياً: أن العلم بالأسماء والصفات على وجه التفصيل فرع من العلم بالذات والعقل لا يدرك الذات فلا يدرك الأسماء والصفات تفصيلاً.

ثالثاً: أن العقل عاجز عن إدراك كثير ما يدور حوله؛ فلأن يثبت عجزه عن إدراك باب الصفات والأسماء على سبيل التفصيل أولى وأحرى»[1].

---

(١) «القواعد الكلية» للبريكان (ص١٤٦).

الخاتمة

يجب على المسلمين تحقيق واعتقاد ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة في باب الأسماء والصفات مع السير على منهج السلف الصالحين .

قال شيخ الإسلام في الفتوى الحموية (١٩٤-٢١٥): قولنا فيها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون : من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ؛ وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره ؛ فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا وأمره أن يقول : { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } .

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب

والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته – محال مع هذا وغيره : أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه . فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا ومن المحال أيضا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة ،

وقال صلى الله عليه وسلم :

{ تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك }

وقال فيما صح عنه أيضا : { ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم } .

وقال أبو ذر : لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما .

وقال { عمر بن الخطاب : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق ؛ حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه } رواه البخاري.

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين – وإن دقت – أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب.

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم إذا كان قد وقع ذلك منه : فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه .

ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة – القرن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع.

أما الأول : فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه ؛ أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته . وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر . وهذا أمر معلوم

بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضا عن الله وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى ؛ فكيف يقع في أولئك ؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه : فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم . ثم الكلام في هذا الباب عنهم : أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف ؛ بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من أن " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم " - وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحا . فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف : إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات . فهذا الظن الفاسد أوجب " تلك المقالة " التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف

وضلوا في تصويب طريقة الخلف ؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين ؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى - وهي التي يسمونها طريقة السلف - وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف - وهي التي يسمونها طريقة الخلف - فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع ؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه .

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين : كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة ؛ لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله . ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة ؛ بل في غاية الضلالة .

كيف يكون هؤلاء المتأخرون - لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف

على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول : لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم . نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ؛ فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن . اقرأ في الإثبات : { الرحمن على العرش استوى } { إليه يصعد الكلم الطيب } واقرأ في النفي : { ليس كمثله شيء } { ولا يحيطون به علما } ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ا هـ .

ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي ا هـ .

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام . ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر : لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون : أعلم بالله

وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم : أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان وإنما قدمت " هذه المقدمة " لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة ؛ وليس غرضي واحدا معينا وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء .اهـ

ولا يظن أحد من أهل السنة أن المبتدعة الذين خالفوا معتقد السلف في باب الأسماء والصفات وغيره قد انقرضوا وولوا ،بل هم متوافرون لا كثرهم الله .

فأغلب الشافعية والمالكية أشاعرة ،والأحناف ماتريدية ،والرافضة والشيعة والزيدية والإباضية يسيرون على طريقة المعتزلة في التعطيل .

و الصوفية بفرقها بما فيهم جماعة التبليغ عندهم انحرافات عقدية خطيرة في هذا الباب فيقولون في الله تعالى: إنه عاشق ومعشوق وعشق مع أن لفظ العشق فيه من التشبيه واحتمال النقص مالا يخفى على عاقل وليس في الكتب الإلهية تسميته بعقل ولا عاشق ولا معقول ولا معشوق، يسمونه بغير اسمه ويصفونه بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالعودة إلى طرقة السلف الصالحين علما وعملا واعتقادا والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

مقدمة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري_حفظه الله_ ٧

المقدمة..... ١٠

الفصل الأول أهمية العلم النافع ١٥

أهم العلوم الشرعية..... ١٨

التحذير من كتم العلم ٢٠

معرفة الله عز وجل إنما تكون بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى ٥٢

أحاديث وآيات الصفات من المحكم أم من المتشابه ٥٤

أولاً: معنى التشابه والإحكام: ٥٤

تعريف المحكم والمتشابه اصطلاحاً:..... ٥٤

صفات الله كمال محض لا نقص فيها بوجه من الوجوه..... ٦٢

لا يثنى على الله عز وجل إلا بأسمائه وصفاته، ولا يُسأل إلا بها..... ٦٣

عدم بث آيات وأحاديث الصفات بين العوام يؤدي بهم إلى عدم استخدام

الألفاظ الشرعية في هذا الباب..... ٦٤

فصل ذكر بعض آيات الصفات من القرآن.....٨٨

فصل ذكر بعض أحاديث الصفات، وتحديث النبي ص بها ٩٥

الدليل على الإشارة عند من يفهم.....٩٨

المذاهب والمشارب في الأسماء والصفات.....١٠٣

أولاً: مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات: ١٠٣

ثانياً: مذهب أهل البدع في الأسماء والصفات: ١٠٣

الفصل الثاني القواعد الحسان لمعرفة صفات الرحمن.....١٠٩

الخاتمة.....١١٥